طارق أحمد عثمان



ساقنّا و المأمون
الخرطوم

تاريخ الختمية في السودان

طارق أحمد عثمان

تاريخ

الختمية

في السودان

منشورات دار ساقنا و المأمون
الخرطوم ١٩٩٩

الأهداء

إلي روح والدي
وأنا أشعر بها ترفرف حولي

تمدني بالخير والصدق والوفاء .

شكر

لابد لي وأنا أقدم هذه الطبعة الثانية للقراء الكرام أن أشكر عدداً من الأساتذة والإخوة الذين أعانوني في عملي هذا ، وعلي رأس هؤلاء استاذي الدكتور حسن مكي محمد أحمد والذي وجدت فيه كل صفات العالم العامل الأمين الصادق الذي يتمثل القرآن في حياته قولاً وعملاً وفكراً ، وقد كان لى بمثابة الأخ الأكبر ، والمرشد والموجه ، ثم إنني اعترف بعنايته البالغة بي واهتمامه الشخصي بما أنجزت وبما سوف أنجز ، ولا أستطيع في هذا المقام أن أوفيه حقه ، ولا أملك إلا أن أحبه حب التلميذ لشيخه علي مابذل وقدم .

وأثني كذلك علي الشيخ البروفيسور / حسن الفاتح قريب الله سليل البيت الطيبي الطاهر وأحد قيادات الجماعة السمانية في السودان ، وأسوق الشكر أيضا وافرا للأستاذ الجليل الدكتور / علي صالح كرار مدير دار الوثائق المركزية ، وللدكتور أحمد الميرغني والسيد محمد الأمين الميرغني من آل الميرغني وللبروفيسور / يوسف فضل حسن والدكتور / زين العابدين عبدالحميد السراج الذي وقف إلي جنبي معيناً ومرشداً والدكتور / الناصر أبوكروق ، أسال الله لهم جميعا أن يثيبهم علي ماقدموا وأن يجزيهم خير الجزاء . ..

طارق أحمد عثمان
الخرطوم ١٩٩٨م

بين يدي الكتاب

لقد كان إقبالي علي دراسة طائفة الختمية وتاريخهم ونقد آرائهم ومواقفهم وتحليلها ، نتيجة لإلماع لطيف. وإشارة موفقة من لدن الدكتور حسن مكي محمد احمد الذي أشرف فيما بعد علي الدراسة ورعاها بعد أن كانت مجرد فكره .

والواقع أن تاريخ الختمية يخشي الباحث الأمين من تناوله ولايقدم علي ذلك إلا بعد تردد ومراجعات عدة ومرد ذلك التخوف يرجع إلي أن تاريخ هذه الطائفة مشوب بالسياسة مرتبط بالحكم ووسائطه ، والسلطة وعدتها ، لذلك يتعثر علي الباحث في أكثر الأوقات في مثل هذه الدراسة ، من أن يحصل علي معلومات خالية من التلفيق أو الزيادة أو التحوير ، وتكثر أمامه الآراء التي يغلب عليها الهوي والميل الحزبي والطائفي من المعارضين والمؤيدين علي حد سواء فيصبح انتقاء الحقيقية المجردة صعب في مثل هذا الجو الثائر والأمواج المتلاطمة .

هذا لايعني أن الدراسات العلمية قصرت عن الإحاطة بتاريخ الختمية بل علي العكس تماما ، فلقد نهض عدد من المؤرخين بعبء الكتابة عن الختمية ، من أبرز هؤلاء جون فول و الذي جعل عنوان أطروحته الجامعية (تاريخ الطريقة الختمية في السودان) ، ونال الباحث علي صالح كرار درجة الدكتوراة عن دراسته المتميزة (الطرق الصوفية في السودان حتي عام ١٩٠٠/ مع التركيز علي منطقة الشايقية). هناك أيضا البحوث الجليلة التي قام بها العالم الكبير أبو سليم في تحقيق تراث الختمية أضف إلي ذلك المجهودات القيمة التي بذلت للتعريف بمدرسة أحمد بن ادريس وتعاليمه ، ومن أوضح الذين قاموا بهذه المجهودات الدكتور حسن مكي المتخصص في شؤون القرن الإفريقي والدكتور يحيي محمد إبراهيم وأيضا الدكتور علي صالح كرار الذي كتب عن الطريقة الإدريسية في السودان .

وللختمية إرث أدبي وفكري ضخم ، ويمتلك الختمية والسمانية دون غيرهما ، أكبر قدر من المؤلفات والمصنفات الصوفية ، مما يدل علي غزارة المادة العلمية التي توفرت عند مشائخ هاتين الطريقتين .

أما بالنسبة لتاريخ الختمية من أفواه اتباعها فإن أوضح مصنف يظهر لنا في هذا المجال ، هو مصنف (الإبانة النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية) لمؤلفه خليفه الخلفاء أحمد بن محمد النصيح المشهور بابن ادريس الرباطابي وهذا الكتاب طبع طبعتان الطبعة الأولي كانت بواسطة الختمية أنفسهم الذين اعتمدوا علي نسخة كانت موجودة في مكتبة السيد علي الميرغني بالاسكندرية وهي بخط المؤلف نفسه ، ولقد قام بعملية التحقيق الدكتور ابوسليم والكتاب فيه إشارات واضحة إلي طريقة بداية الختمية في السودان ، وارتيريا وكيف ازدهر وتنامي عدد اتباعها علي يد مؤسسيها

الأساسيين في السودان محمد عثمان وابنه محمد الحسن .

والكتاب علي جهة العموم مرجع هام جدا لكل راغب في الاحاطة بتاريخ الختمية وفيه معلومات دقيقة ومفصلة لانجدها إلا في هذا السفر العظيم عن المراغنة ودورهم في السودان ، ولقد أخطأ من قبل جون فول حينما لم يعتمد علي ابن إدريس النصيح في إيراده للتواريخ والمعلومات ، فهو لم يقف علي الإبانة ومن هنا تتبع أهمية هذا المؤلف .

وتوجد دراسات اخري لمعاصرين من أمثال الدكتور أحمد محمد أحمد جلي ، والذي كتب كتابا تحت عنوان (طائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها) يتناول هذا الكتاب الختمية مع التركيز علي تعاليمها ومعتقداتها ووزنها بميزان الشرع ومعرفة مدي مطابقة هذه الأفكار للشريعة الإسلامية ، أما دور الطائفة السياسي وحركتها الدينية يأتي في هذا الكتاب بصورة موجزة مع إشارات عامة لابرز سمات العمل السياسي للطائفة ، ولاتخلو هذه الدراسة من عيوب ونقص ، ويبدو وكأنها كتبت للنيل من مسارات الختمية وأنشطتهم السياسية ، ولقد افاض المؤلف ، وتوسع عند كلامه عن عقائد الختمية وحلل افكارهم تحليلا كبيرا ونسب إليهم عددا من الأراء الفلسفية ، وقد بينت بعض اقوال الدكتور جلي ورددت عليها ، وهناك أيضا كتاب اخر لاحد انصار الختمية هو السيد محمد حامد محمد خير بعنوان (الختمية العقيدة والمنهج والتاريخ). وهو يتكلم بلغة الدفاع والنصرة عن طائفته مما يفقده أهم السمات العلمية التي يجب أن يتصف بها البحث الجاد ويبدو لي أنه عندما يتناول سيرة مشائخ الختمية فهو يعتمد علي الروايات الشفهية ، لكن دراساته هذه توضح جزءا من انماط التفكير والتحليل عند الختمية .

الواقع أن الحركة الدينية الكبيرة التي قادها البيت الميرغني في السودان ، شكلت ظاهرة فردية ، وعبرت عن تيار متميز في تاريخ الدراسات السودانية ، إن الوجود الضخم لاتباع طائفة الختمية ، والامتداد الكبير لهذه الجماعة علي جميع المستويات ، والتأثير البالغ الذي بدأ واضحا عند أغلب أهل السودان نتيجة لاسهامات هذه الطائفة ، كل هذه الأشياء تقود المرء أن يتحسس مصادر القوة والدفع التي جعلت من الطريقة الختمية تأخذ هذا الحيز الكبير في نفوس السودانيين وتجد هذا القبول المتعاظم في وقت من الأوقات من تاريخ هذا البلد . إن الطريقة الختمية إسلامية المنشأ والأصل ، واعتمدت في فكرها وخطابها وعملها علي الدين الإسلامي الحنيف مما خلف أعظم النتائج علي أهل السودان في أحداث الإصلاح الإجتماعي والأخلاقي ، ولقد أورثت الطريقة الختمية الذهنية السودانية حتي منتصف هذا القرن دينا وعلماً ، وربطت هذه العقلية بالإسلام أكثر فأكثر ونمت بها حب الإسلام وشريعته

مقدمة:

بواكير الدعوة الإسلامية في السودان

أ) دخول الإسلام إلي السودان :

مع بدايات ظهور الإسلام في مناطق شبه الجزيرة العربية كانت البلاد التي يمكننا أن نطلق عليها اسم (السودان الشرقي) أو (سودان وادي النيل) تتكون من أرض البجة – والتي تشمل تقريبا موطنهم الحالي – وثلاث ممالك أمتد نفوذها ووجودها بين (أسوان) و (سنار) والممالك الثلاث هي :

أولا : مملكة المريس (نوباتيا) وقد أتحدث مع المملكة الثانية (المقرة) وكونتا مملكة النوبة وعاصمتها دنقلة ، أما المملكة الثالثة فهي علوة وعاصمتها سوبا(١) .

ولقد استطاعت المسيحية مع بداية القرن السادس الميلادي أن تصبح الديانة الأولي الأعظم إنتشارا بين سكان مملكتي النوبة وعلوة وأن يعتنقها القليل من أبناء البجة ، ولهذا عندما جاء الإسلام عبر الفتوح الإسلامية إلي تلك المنطقة وجد أن المسيحية قد تأصلت وتعمقت بجذور ثابتة وقوية ، وغدت من المكونات الأساسيةللجماعات النوبية (٢)، ولعل هذا يوضح لنا حقيقة الهجمات التي قام بها النوبة علي صعيد مصر التي كانت في الواقع تعبر عن صور من صور التعاطف الديني لدي النوبيين تجاه أقباط مصر الذين تعرضوا للهزيمة من قبل الجيوش الإسلامية سنة ٦٤١(٣) لقد كان هناك إرتباط وثيق وحميم بين الكنيسة النوبية وكنيسة الإسكندرية الشيء الذي دفع الأولي الي مقاومة الحملات الإسلامية علي أراضيها والوقوف في وجه الفاتحين للمسلمين .

والواقع إن الإسلام لم يتسرب الي هذه البلاد عن طريق مصر وحسب لكن هناك طريقين آخرين دخل الإسلام من خلالهما إلي منطقة السودان الشرقي :

أولهما : طريق يأتي من الحجاز عبر البحر الأحمر عن طريق مؤاني باضع وعيذاب وسواكن .

ثانيهما : من المغرب عبر أواسط بلاد السودان (٤).

---

(١) يوسف فضل حسن (بروفيسور) : دراسات في تاريخ السودان ج ١ . ط أولي (الخرطوم : دار : الطباعة جامعة الخرطوم ١٩٧٥م ص ٢٤ ، ٢٥

(٢) يوسف فضل حسن (بروفيسور) نفسه ص ٢٥

(٣) يوسف فضل حسن (بروفيسور) من معالم تاريخ الإسلام في السودان المجموعة الأولي يوسف فضل وآخرون (الخرطوم – دار الفكر للطباعة والنشر) اغفلت تاريخ الطبع ص ٢١ ، ٢٢

(٤) ودضيف الله ، محمد النور : مقدمة كتاب الطبقات حققه وعلق عليه أ. د. يوسف فضل ط أولي (الخرطوم قسم التأليف والنشر ١٩٧١م)ص ٢ الطابعون دار الطباعة جامعة الخرطوم

ولقد قاد المسلمون عبر مصر بعد أن تم لهم فتحها ، حملات تأديبية لبلاد النوبة ولاقت رغبة الخليفة عمر رضي الله عنه مع رغبة قائده في مصر عمرو بن العاص بضرورة غزو أراضي النوبة لضمان المحافظة علي أطراف مصر من ناحية الجنوب وتأمين طريق التجارة القديم بين البلدين (٥) ولن يكون ذلك إلا بإسكات اعتداءات النوبة ، وتتفق المصادر العربية ، أن حملتين رئيسيتين قد دخلتا أرض النوبة ، أولاهما : في ولاية عمرو بن العاص بأمر من أمير المؤمنين كما وضحنا من قبل والتي كانت في ٢١هـ / ٦٤١م .

والثانية : في عهد عبدالله بن سعد بن أبي سرح عام ٣١هـ / ٦٥١م .

لم تفلح الحملة التي سيرها عمرو بن العاص بقيادة عقبة بن نافع في وقف تحرشات النوبة مما دفع عبدالله بن سعد بن أبي سرح إلي توجيه حملة المسلمين الثانية علي بلاد النوبة (٦) وتمكن جيش أبن أبي السرح من التوغل جنوبا حتي دنقلة عاصمة الدولة المسيحية الشمالية المقرة وحاصرها حصارا شديدا واستخدم المنجنيق في ضرب المدينة فخربت كنيستهم مما دفع ملكهم الي الصلح مع المسلمين الذين وقعوا معهم عقدا عرف في التاريخ باسم (البقط) (٧) والذي كانت من أهم بنوده أن يدخل الطرفان المتحاربان أرض الطرفين مجتازين غير مقيمين وأن يحافظ النوبة علي المسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتهم وأن لايمنعوا عنه مصليا وعليهم كنسه واسراجه وتكريمه وعليهم دفع ٣٦٠ راسا من أواسط رقيقهم يدفعونها إلي امام المسلمين (٨).

أعقب هذه الهزيمة إقبالا من العشائر العربية علي شراء الأراضي من النوبيين في منطقة المريس والإستيطان فيها ، وهناك صاهروا النوبيين واختلطوا بهم ، وإلي هذه المجموعة يرجع الفضل في نشر الدين الإسلامي في تلك البقاع.

لقد كان لبني الكنز وهم فرع من ربيعة ، النصيب الأكبر في تدعيم النفوذ الإسلامي أواسط النوبة الذين سمحوا لهم بالزواج منهم والإختلاط بهم (٩).

---

(٥)مصطفي محمد مسعد (دكتور) : الإسلام والنوبة في العصور الوسطي ، بحث في تاريخ السودان وحضاراته حتي أوائل القرن ١٦ ميلادي ، (القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٠م)ص ١١١

(٦) يوسف فضل (بروفيسور) : الهجرات البشرية وأثرها في نشر الإسلام في السودان (أعد المقالات للنشر مدثر عبدالرحيم والطيب زين العابدين ، ط أولي الخرطوم : دار الأصالة ١٩٨٧) ص ١٤ بحوث من المؤتمر الأول لجماعة الثقافية الإسلامية – الخرطوم نوفمبر ١٩٨٢م)

(٧)مصطفي محمد مسعد (دكتور) : مصدر سابق ص ١١٢

(٨) يوسف فضل (أ. د): الهجرات البشرية وأثرها في نشر الإسلام في السودان ص ١٥، ١٦

(٩) أحمد عثمان إبراهيم : تطور الوعي القومي في السودان (ودمدني: مطابع دار النيل الأزرق للطباعة والنشر) (أغفلت تاريخ الطبع) ص ٢٣

أما البجة فلم تسلم حدود مصر الجنوبية من هجماتهم فلقد تعرضت لغاراتهم في حوالي سنة ٧٢٤م وصالحهم ابن الحبحاب ووقع معم عقدا ، ولكنه مالبثوا أن أعادوا هجماتهم علي جهة اسوان فجرد عليهم المأمون حملة بقيادة ابن الجهم في العام ٢٣٢ هـ (٨٤١)م فوقعت بينهم معارك انتهي أمرها بموادعتهم وكتابة عقد مع رئيسه كنون بن عبدالعزيز (١٠).

وأبان حملة ابن الجهم اكتشف العرب الذهب والزمرد في أرض المعادن ببلاد البجة ، مما جعل جموع المسلمين الراغبين في المال في التدفق تجاه البلاد ، وقاد نجاح بعض المهاجرين إلي توالي المزيد من الباحثين عن الثراء ، قد أسهم ذلك بدوره في نشر الإسلام بين السكان الأصليين بعد أن تم التزاوج والتصاهر بينهم وبين العرب(١١) .

لقد استطاعت هذه الهجرات الإسلامية المتعاقبة علي بلاد السودان أن تؤدي بأهله في نهاية أمرهم إلي اعتناق الإسلام ، وإلي إنهيار الممالك السودانية المسيحية تحت تاثير المد البشري المتزايد لجماعات المسلمين ، كان نتيجة لهذه الهجرات أيضا قيام ثلاث ممالك إفريقية إسلامية هي ممالك الفونج ، وتقلي ، ودارفور (١٢).

لقد كانت هناك أسباب رئيسية دعت المسلمين إلي الإنتقال إلي أرض السودان الشرقي ، ومن أهم هذه الأسباب :-

١- الحملات الحربية التي جاءت من مصر إلي شمال السودان وشرقه .

٢- البحث عن الاستقرار ولقمة العيش ، فلقد كان سيدنا عمر رضي الله عنه لايسمح للمحاربين بامتلاك الأراضي في البلدان المفتوحة ، مما دفعهم إلي الهجرة جنوبا التماسا للرزق .

٣- الضغوط السياسية التي مارسها بعض الخلفاء تجاه العرب أمثال المعتصم وغيره ، لقد كانت هذه الضغوط سببا في نزوح العرب جنوبا هربا من عسف الحكام وظلمهم (١٣)

---

(١٠) مصطفي محمد مسعود (دكتور) : الإسلام والنوبة في العصور الوسطي ص ١١٦

(١١) يوسف فضل حسن (أ .د) : دراسات في تاريخ السودان ص ٣٦ ، ٣٨.

(١٢) محمد عمر بشير (أ. د) العلاقات العربية الإفريقية - دراسة تحليلية - (جامعة الخرطوم : معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية ١٩٨٤م)ص ٣٢

(١٣) أحمد عثمان إبراهيم : مصدر سابق ص ١٩ - ٢٠

(ب) العلماء :

لم تدون لنا كتب التاريخ أسماء لعلماء وحفظة قرءان ومتصوفة من الذين وفدوا علي السودان مع الهجرات العربية المتلاحقة ، وأن كل مادون عن رجال الدين في السودان قد جاء متأخرا واعتمادا علي الذاكرة ، وحتي عندما كتب ودضيف الله طبقاته في ذلك الوقت المتأخر من تاريخ الإسلام في السودان كان بعض القريبين إلي عهده قد انقطعت اخبارهم ، وقد أشار هو نفسه إلي هذا الانقطاع وعزاه لبعد الفترة الزمنية ، لقد كان كتاب الطبقات علي حد علم صاحبه لذلك هو لم يورد اخبارا لعلماء ومتصوفة وفقهاء ، عاشوا في مناطق تبعد عنه ، وتخرج عن إطار علمه (١٤).

يري المؤرخون أن مدرسة غلام الله بن عائد في دنقلا كانت أولي المدارس العلمية في السودان ، ولقد كان وجودها في القرن الرابع عشر الميلادي ، وبعد مضي قرنين من الزمان جاءت مدرسة أولاد جابر بتأثيرات مصرية ، ولقد كان مقرها بجزيرة ترنج قرب الكاسنجر بديار الشايقية ، ثم جاءت مدرسة نوري التي أنشأها عبدالرحمن ود حمدتو الخطيب ، ولقد تفرعت هذه المدرسة عن مدرسة أولاد جابر وبقيت هذه المدرسة لأكثر من قرن ومن أوضح الذين درسوا بها حمد الأغبش ، وإبراهيم بن عبودي الفرضي ، وقد أسس مدرستين مستقلتين ، وحمد المجذوب مؤسس الطريقة المجذوبية ، ومن الذين تلقوا المعارف وأخذوا العلوم في مدرسة أولاد جابر ، أبوإدريس العركي ويعقوب بان النقا ، والشيخ صغيرون مؤسس مدرسة القوز وهو أستاذ أرباب العقائد والذي تخرجت علي يديه أعداد غفيرة من العلماء من بينهم حمد أم مريوم وخوجلي عبدالرحمن وفرح ولد تكتوك (١٥).

لقد استقبل السودان عدداً كبيراً من العلماء الوافدين إليه والذين عملوا علي نشر الإسلام وتثبيت أركانه وترسيخ قيمه وأفكاره ، وامتدادها بين السكان ، ومن أبرز هؤلاء الذين قادوا حركة الدعوة إلي الله من الوافدين عيسي ود كنو الحضرمي والذي ينسب إليه أدخال رواية ورش التي يقرأ بها أهل شمال دنقلا والمحس ، ومنهم أيضا الشريف حمد أب دنانة الحجازي والشيخ التلمساني المغربي ، والشيخ مصطفي الحجازي وغيرهم (١٦).

آهتم العلماء الأوائل بتحفيظ القرآن للنشء وتدريسهم مباديء الفقه والتوحيد في إطار مذهب الأمام

---

(١٤) محمد ابراهيم أبوسليم (أ . د) بحوث في تاريخ السودان ط أولي (بيروت دار الجيل ١٩٩٢)ص ٢٣

(١٥) محمد إبراهيم أبوسليم : مصدر سابق صفحات ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧

(١٦) الطيب محمد الطيب : المسيد ط أولي (الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٩١) ص ٧٨ ، ٨١

مالك والذي أرتضته غالبية السودانيين لقد كان معظم القادمين علي السودان هم من صعيد مصر الذي عرف باتباعه لتعاليم المذهب المالكي ، لذلك لقد قدر لهذا المذهب أن ينتشر ويجد القبول علي يد هؤلاء ، كما أن الرواد الأوائل من الفقهاء سواء من درس منهم في مصر مثل محمود العركي وإبراهيم البولاد ومحمد صغيرون ، أو من جاءوا ووفدوا من مصر نحو محمد القناوي المصري ، كانوا من أتباع مذهب مالك وقد أدخلوا تدريس كتابي الرسالة ومختصر خليل في مدارس العلم التي قامت في السودان ولقد كان علماء المغرب الوافدين علي هذه البلاد من المالكية أيضا ، وقد اعتنقت قلة قليلة من السودانيين المذهب الشافعي (١٧)

---

(١٧) يوسف فضل حسن (أ . د) الهجرات البشرية وأثرها في نشر الإسلام في السودان ط أولي اعداد مدثر عبدالرحيم / الطيب زين العابدين (الخرطوم : دار الأصالة ١٩٨٧) بحوث من المؤتمر الأول لجماعة الفكر والثقافة الإسلامية الخرطوم ١٩٨٢م ، ص ٢٦

(ج) الطرق الصوفية:

اعتمد الإسلام في السودان الشمالي علي الطرق الدينية وهي عبارة عن جماعات جمعهم الاطمئنان الي خصال وفضائل شيخ وقائد بعينه يؤدون بعض الطقوس المشروعة بشكل جماعي (١٨)

ويعتبر التصوف في السودان متنفساً طبيعياً ، واتجاهاً حتميا للمزاج الديني والنزعة الروحية التي ظلت تجلل المجتمع السوداني (١٩)، ولقد عرف السودان التصوف مع بداية معرفته للإسلام علي نحو مايري الدكتور عثمان بسيداحمد إذ يظن أن التطور التاريخي للإسلام يدفعنا إلي القول بأن الصوفية وجدت طريقها إلي السودان عقب إنتشار الإسلام ودخوله مباشرة (٢٠) ويري الدكتور أبوسليم أن الحركة الصوفية مرت في خلال مسيرتها المتطورة في السودان- بثلاث مراحل ، مرحلة أولي :

لا تتوفر معلومات عنها لإنقطاع الأخبار وهذا بالتأكيد لايعني أن السودانيين لم يشهدوا في هذه الفترة حركة صوفية ، بل لقد مارسوا الحياة الصوفية كاملة بما فيها الإنتساب إلي الطرق والإشتعال بمذهب أهل الباطن في الحياة مرحلة ثانية :

أخذت فيها الطرق تظهر وتنمو وتتشعب وتأخذ اتجاهات جديدة علي نحو مانجد في الطريقة الشاذلية والتي اهتمت بالجوانب العلمية لأن مؤسسها كان عالما ثم جاءت .

المرحلة الثالثة : والتي ظهرت نتيجة لمؤثرات الحجاز القوية في أواخر القرن السابع عشر ، ولقد كانت الطرق التي ظهرت في هذه الفترة ذات اتجاه تجديدي مثل السمانية والختمية والإسماعيلية ، ولقد أهتمت هذه الطرق اهتماماً كبيراً بالدعوة ونشر تعاليمهم ومبادئهم (٢١) ، أما البدايات المبكرة جدا للجماعات الصوفية في السودان فلقد ظهرت عبر الطريقة البكرية التي لم يكتب لها البقاء والاستمرار لأكثر من ثلاثة خلفاء بسبب حداثة معرفة السودانيين لمثل هذه الطرق القائمة علي

---

(١٨) زكي بحيري (دكتور) : التطور الإقتصادي والإجتماعي في السودان من الأزمة الاقتصادية العالمية وحتي الاستقلال ١٩٣٠ - ١٩٥ ط أولي (النهضة المصرية ١٩٨٧) ص ٣٦١

(١٩) حسن محمد الفاتح قريب الله : التصوف في السودان الي نهاية عصر الفونج ط أولي ، مطبوعات كلية الدراسات العليا جامعة الخرطوم ١٩٨٧م) ص ٨

(٢٠) عثمان بسيدأحمد (دكتور): الدين والسياسة نشأة وتطور الختمية والأنصار مطبوع بالألة الكاتبة ص ١٠

(٢١)محمد ابراهيم ابوسليم (أ . د) : (دور العلماء في نشر الإسلام في السودان) في بحوث في تاريخ السودان ط أولي (بيروت دار الجيل ١٩٩٢)ص ٢٥

(٢٢) حسن محمد الفاتح قريب الله : مصدر بسابق ص ٣٢

أساس التنظيم الجماعي (٢٢) ويعتبر تاج الدين البهاري رائد العمل الصوفي في السودان وهو الناشر الأول للطريقة القادرية أكثر الطرق ذيوعاً وانتشاراً في السودان ، ولقد قدم هذا الشيخ إلي السودان كما يري الشاطر البصيلي في العام الهجري ٩٨٠ (٢٣) أو في سنة ١٥٧٧م كما يظن الدكتور عبدالعزيز عبدالمجيد (٢٤) ولقد تزوج وأقام بالجزيرة مدة سبع سنين أعطي خلالها طريقته القادرية لخمسة رجال منهم الشيخ محمد الهميم والشيخ بانقا الضرير (٢٥) ولقد أراد أن يدخل بعض السودانيين الأخرين في طريق القوم مثل الشيخ عبدالله بن دفع الله العركي ولكنه رفض معتذرا بأنه فقيه ولايقبل مع الفقه علما آخر يشغله عن الفقه ولكنه لما أحس بالمكانة التي تبوأها من سلك علي يد البهاري فضل أن يكون من أهل هذه الطريقة ولحق بتاج الدين بأرض الحجاز ولكنه وجده قد توفي فأخذ الطريق عن خليفته حبيب الله العجمي وعاد الي السودان مرشدا للناس في علمي الظاهر والبان (٢٦) .

ويعتقد أن الطريقة الشاذلية دخلت السودان قبل قيام مملكة الفونج (٢٧) وقد أخذها الشيخ حمد ابن المجذوب من الشيخ علي الدراوي تلميذ السيد أحمد بن ناصر الشاذلي (٢٨) ، ولقد ازدهرت هذه الطريقة في منطقة الدامر علي يد المجاذيب حفدة الشيخ حمد حتي باتت تعرف وتشتهر بالطريقة المجذوبية (٢٩).

ويظن عدد من الباحثين ان الطريقة الشاذلية دخلت السودان علي مراحل وكثيرون منهم يعدون فرع الشيخ خوجلي (ت ١٧٤٣م) سابقا لفرع الشيخ حمد المجذوب (ت ١٧٧٦م) (٣٠) ، ولكن الواضح أنها الطريقة الأولي التي دخلت إلي السودان كما ذكرنا وعلي نحو مانجد في الروايات أن أحدي بنات أبي عبدالله محمد بن سليمان الجزولي تزوجها الشريف حمد أبي دنانة الذي نزح مع

---

(٢٣) الشاطر بصيلي عبدالجليل : مخطوطة كاتب الشونة ص ٤

(٢٤) عبدالعزيز عبدالمجيد (دكتور) : التربية في السودان ص ٦

(٢٥) ودضيف الله ، محمد النور : كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء و الشعراء في السودان حققه وعلق عليه وقدم له بروفيسور يوسف فضل حسن ط ثالثة الخرطوم : دار جامعة الخرطوم ١٩٨٥م ص ١٢٨

(٢٦) ودضيف الله ، محمد النور: مصدر سابق ص ٢٥٢ ، ٢٥٣

(٢٧) يوسف فضل حسن : دراسات في تاريخ السودان ص ٧٦

(٢٨) ودضيف الله ، محمد نور : مصدر سابق ص ١٨٨

(٢٩) يوسف فضل : دراسات في تاريخ السودان ص ٧٦

(٣٠) حسن محمد الفاتح: مصدر سابق ص ١١٨

ابنه إلي السودان وسكنا في سقادي غرب (المحمية الآن) وذلك في سنة ١٤٤٥ هـ (٣١) ويرجح الدكتور حسن الفاتح قريب الله أن يكون عبدالله الشريف هو أول رائد للشاذلية في السودان وهو الذي أشار إليه ابن ضيف الله (٣٢).

أما السمانية فقد نشر تعاليمها الشيخ أحمد الطيب البشير الجموعي عام (١٧٩٣ -١٨٥٣) الذي تلقي تعليمه في المدينة المنورة علي يد مؤسس الطريقة الأول الشيخ محمد عبدالكريم السمان ولقد كانت السمانية مظهرا من مظاهر الإصلاح الديني الذي اجتاح الولايات الجنوبية من الدولة العثمانية (٣٣) ، ولقد اشتهر البيت السماني بالعلم والتقوي والأدب ، ولقد أخذ اشيخ أحمد الطيب العلم عن جده الشيخ محمد ولد سرور وأرتحل إلي مسجد الشيخ العزازي بأم طلحة بالجزيرة ثم قصد المدينة ومكث فيها سبع سنين ، ولقد كان يقوم بعلاج الناس عقب عودته بالدعاء لهم بالبركة والشفاء ويروي انه عالج أخ الشيخ الناصر ولد محمد أبي لكيلك (٣٤) ، ولقد وجدت الطريقة السمانية قبولا وإستحسانا عند بعض القبائل العربية في السودان مثل الجموعية والحلاوين واليعقوباب (٢٥).

شاع التصوف في السودان شيوعاً عظيماً وظهرت آثاره علي حياة الناس وعلي طرائق تعبدهم وسلوكهم الديني ، وسادت في أجوائهم المصطلحات والعبارات الصوفية التي تدل علي الواقع الصوفي العميق والقوي عند السودانيين ، ولقد انتشرت عدد من الأسفار ذات المضامين الصوفية نحو كتب عبدالوهاب الشعراني التي من بينها كتاب الطبقات الكبري ، وكتاب لطائف المنن والأخلاق في بيان التحدث بنعمة الله علي الأطلاق (٣٦).

ومن كتب الوطنيين في التصوف (كتاب الطبقات لود ضيف الله) الذي يترجم فيه لعدد من أهل العلم والفقه والتصوف والشعر وهو يفيض حديثا عن كرامات الأولياء وخوارق أفعالهم، ويري الاستاذ / برات أن الكتاب يفتقر إلي الوضـــوح والمنهجية وتسوده الفوضـــي وانعدام الرؤية العلمية الصحيحة (٣٧) .. غير أن الكتاب في رأينا جهد سوداني خالص لمؤلف وطني يعبر عن ماساد في

---

(٣١) نفسه : نفس الصفحة

(٣٢) يوسف فضل حسن(أ. د) : دراسات في تاريخ السودان ص ١١٩

(٣٣) يوسف فضل حسن : دراسات في تاريخ السودان ص ٧٦ ، ٧٧

(٣٤) زكي البحيري(دكتور) : مصدر سابق ص ٣٦٣

(٣٥) يوسف فضل حسن : دراسات في تاريخ السودان ص ٧٦، ٧٧

(٣٦) يوسف فضل (أ . د): المصدر السابق ص ٧٧

(٣٧) محمود عبدالله برات : تعليم الفتاة في السودان (أهدافه ومناهجه من منظور إسلامي) ، في الإسلام في السودان ، ط أول ، أعد المقالات للنشر بروفسور / مدثر عبدالرحيم ، د. الطيب زين العابدين (الخرطوم دار الأصالة ١٩٨٧) ص ١٨٣ ، أصل هذه البحوث قدمت في المؤتمر الاول لجماعة الفكر والثقافة الإسلامية بالخرطوم ٢٧- ٣٠ ديسمبر ١٩٨٢

عصره من اعتقادات و أفكار ويصور بوضوح حقيقة الفكر الإسلامي عند السودانيين في تلك الآونة.

ويمكننا في نهاية هذا الوصف لإنتشار الحركة الصوفية في السودان أن نقول إن الطلائع الأولي من المتصوفةسعوا إلي نشر وتعميق مباديء العقيدة الإسلامية بطرق سهلة وميسورة أساسها إلزام المريدين في اتباع منهج أخلاقي وسلوكي خاص مع المداومة علي تلاوة أذكار وأوراد معلومة .

يري الصادق المهدي أن التصوف في السودان قد حقق عدة غايات أهمها :

– نشر الإسلام في السودان سلميا وشعبيا .

– إقامة قنوات قاعدية للتعليم الديني والارشاد وتوسيع النُظم الإجتماعية السودانية مع تحقيق وحدة ثقافية إسلامية لأن الطرق مع تعددها تجتمع علي مصادر ثقافية موحدة ، لكن أزاء هذه الايجابيات برزت عدة سلبيات أهمها كما يظن التسامح الذي عرف عند المتصوفة فتح الباب لكثير من العادات الوثنية والتقاليد الجاهلية لتجد طريقها الي عقائد الناس ، كذلك أمام المكانة الكبيرة للشيخ عند الناس فتح المجال للدجل والاحتيال علي عقول البسطاء (٣٨) .

في رأينا أن رياح التصوف التي غمرت السودان منذ بدايات دخول الإسلام وانتشاره قد أسهمت وحدها بالاضافة إلي بعض المجهودات الفردية من العلماء ، في ترسيخ وتدعيم ، وتعميق الإحساس بالإنتماء الي الإسلام ، وبالاتصال بمناهج الفكر الإسلامي في زمن مبكر لم تنتج معه وسائط اتصال للتعرف علي مصادر المعرفة عند المسلمين ، ولقد حفزت الصوفية السودانيين ودفعتهم الي اقتناء الكتب و الإهتمام بها وتعظيمها ، وحببت العلم اليهم وزينته في نفوسهم رغبة في الاستزادة من نور الإسلام ، والنهل من معين الدين الصافي وهكذا فقد عمل التصوف في السودان علي ربط الناس بدينهم وتعريفهم به وعلي ايجاد العاطفة الدينية المتأججة في قلوب الناس.

---

(٣٨) الصادق المهدي : مستقبل الإسلام في السودان ط أول (مؤسسة المدينة للصحافة ١٩٨٣) ص ١٨ ، ١٩

الفصل الأول

الختمية نشأتها وتطورها وأهم معتقداتها :

المبحث الأول : نشأة الختمية وتطورها

المبحث الثاني : الأصول الفكرية للطائفة وأهم تعاليمها

المبحث الأول

نشأة الختمية وتطورها

يرجع الفضل في تأسيس طائفة الختمية الي السيد محمد عثمان (الختم) وهو ينحدر من أسرة عريقة في نسبها ، وعظيمة في مكانتها لقد تمتعت هذه الأسرة بمنزلة رفيعة بسبب نبوغ رجالها واشتهارهم بالعلم والصلاح ، ولإنتماء هذه الأسرة إلي الدوحة النبوية ومصادر الطائفة تورد سلسلة نسب طويلة لمحمد عثمان الميرغني تصل في نهايتها الي الحسين بن فاطمة الزهراء بنت الرسول (صلي الله عليه وسلم) (١) لقد قويت سلسلة نسب البيت الميرغني لدي الشريف المرتضي الزبيدي واعتمدها بعد أن راجعها ، ولايشك أحد من المعاصرين لهذه الأسرة في صدق انتمائها الي أسرة الأشراف ذات الوزن الإجتماعي والديني والسياسي (٢) يظن الدكتور جلي (٣) أن سلسلة المراغنة تعتريها بعض الإشكالات :

أولا : يوجد اضطراب في عدد هذه السلسلة إذ أن فيها ثلاثة أسماء وردت في رواية السيد جعفر في لؤلؤة الحسن الساطعة لم ترد في الروايات الأخري ، كما أن الاسم(حسن) ورد في روايات اخري باسم (عيسي) والاسم (بكر) ورد باسم(أبي بكر).

ثانيا : إن سلسلة هذا النسب تثبت أن الحسن الخالص أو الحسن العسكري الإمام الحادي عشر عند الشيعة له ابن هو (علي التقي) ومنه انحدر المراغنة ، وهذا مالايقول به الشيعة ، لأنهم يعتقدون ان ابن الحسن العسكري هو (محمد المهدي) الذي اختفي وهو غلام في الخامسة أو الثالثة من عمره فضلاً عن أن بعض المؤرخين ينكرون وجود ابن الحسن العسكري الأمر الذي يقود الي الشك في تسلسل نسب المراغنة بهذه الصورة.

ثالثا : أن هذا النسب لو صح في بدايته فلا شك أنه في وقت متأخر قد اختلط ببعض الدماء الأعجمية ، وما اسم ميرخورد الذي ورد آكثر من مرة وأسم ميرغني الذي يقول المراغنة أنه اسم فارسي إلا اوضح دليل علي ذلك .

---

(١) راجع سلسلة النسب في :

لؤلؤة الحسن الساطعة في بعض مناقب ذي الأسرار اللامعة والفيوضات الوهبية النافعة السيد محمد عثمان الميرغني (متنوعات / ٢٨٣)ص ٤ وترجمة السيد محمد عثمان الميرغني المحجوب المكي رحمة اله تعالي دار الوثائق المركزية قطعه رقم ١١١٩ متنوعات صندوق رقم ١/٦٣ ص ٤ وفي مناقب صاحب الراتب ضمن مجموعة الرسائل الميرغنية في اداب الطريقة الختمية ص ٩٨ ، ٩٩

-(٢) محمد ابراهيم ابوسليم : مقدمه الابانة النورية ص ٢٦

(٣) أحمد محمد أحمد جلي(دكتور) : طائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها ، صفحات ١٤٣ ، ١٤٤

وفي ما يتعلق بنسبة المراغنة الي الجد الحسن العسكري يري السيد أحمد بن السيد محمد عثمان الميرغني (٤) انهم ليست الاسرة الوحيدة في العالم الإسلامي أو في السودان التي تنسب نفسها إلي الحسن العسكري علي سبيل المثال في صر توجد أسرة السيد أحمد البدوي والتي تمت بصلة قربي لبيت السادة الخفاب في بربر في شمال السودان مما يجعل هذه الأسرة ايضا تنتسب إلي السيد الحسن العسكري ، ويعتقد السيد أحمد أن البواعث السياسية وحدها هي التي دفعت بعض الجهات إلي انكار شريفيه البيت الميرغني.

ولقد جاء في أكثر من مصدر الإشارة إلي انتساب الميراغنة الي البيت النبوي فبالاضافة إلي ماذكره المرتضي الزبيدي والجبرتي ويبدو أن أحدهما قد نقل عن الآخر ، هناك الشيخ عبدالله مرداد أبو الخير من علماء مكة توفي عام ١٣٣٥هـ آكد هذا الأمر في كتابه (نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر الي القرن الرابع عشر – وقد ألمع الي هذا السفر ونبه عليه السيد محمد الخليفة طه الريفي (٥).

يعتبر عبدالله الميرغني (المحجوب) وهو الجد المباشر لمحمد عثمان الميرغني معلماً بارزا في تاريخ هذه الأسرة ، فلقد اجتمعت عنده وجاهة الحسب والنسب والثراء الواسع والعلم والطريق (٦).

ولد السيد عبدالله في مكة ، ولقب بالمحجوب لاحتجابه عن الخلق زمناً طويلاً ، واتصل بكبار علماء مكة وتلقي عنهم العلم أمثال الشيخ النخلي والشيخ يوسف المهدلي ثم انتقل الي الطائف بعد أن أسس طريقته الميرغنية وهي أحدي الطرق التي أستمد منها حفيده طريقته ، لقد غادر مكة الي الطائف في ١١٦٦هـ/ ٥٢ – ٥٣٧م نتيجة للصراع السياسي الذي دار بين بعض الأسر في مكة ولكن صلته لم تنقطع عنها إذ بقي بها ابنه محمد يسن الذي واصل النظر في مصالح أسرته ، ويظن أن عبدالله نفسه كان يتردد علي مكة من حين لآخر ولما توفي نقل الي مكة ودفن بها (٧) لقد كان السيد عبدالله عالماً متمكناً من العلوم الإسلامية ، ولقد نهض بأعباء تدريس هذه العلوم وله مصنفات عديدة في هذا المجال ، من بينها (فرائض الدين وواجبات الإسلام لعامة المؤمنين) و (الفروع الجوهرية في الأئمة الأثني عشرية) و (المعجم الوجيز في أحاديث النبي العزيز) و (كنوز الحقائق) وغيرها وجمع شعره في ديوانين أحدهما : (العقد المنظم علي حروف المعجم) والثاني (عقد

---

(٤) مقابلة مع السيد أحمد بن محمد عثمان الميرغني (بشمبات) بمنزله

(٥)محمد الخليفة طه الريفي : السادة المراغنة (هيئة الختمية للدعوة والإرشاد المكتبة الإسلامية ١٩٨٣م)

(٦) محمد ابراهيم ابوسليم : مقدمة الأبانة ص ١١

(٧)محمد ابراهيم ابوسليم : مقدمة الأبانة الصفحة ١١

الجواهر في نظم المفاخر) وقد أشاد الجبرتي بمناقبه وعلمه وزهده ونسب إليه بعض الكرامات (٨).

وذكره الشيخ يوسف النبهاني ونقل ترجمته عن الجبرتي ، وكان من ضمن ماقاله عنه (وهو أحد مشايخ الإمام العلامة السيد مرتضي الزبيدي شارح الأحيا والقاموس ولكون شهرته في بلادنا أقل من شهرة سيدي عبدالعزيز الدباغ وسيدنا عبدالغني النابلسي وسيدي مصطفي البكري رضي الله عنه وعنهم أردت أن أذكر شيئا من ترجمته تنويها بقدرة ولأجل أن يتلقي بالقبول ما أنقله عنه من الفوائد الجليلة ، فأقول ذكره الجبرتي في تاريخه في وفيات عام ١٢٠٧ هـ فقال في هذه السنة مات السيد الإمام العارف القطب عفيف الدين ابوالسيادة عبدالله ابن ابراهيم بن حسن بن محمد أمين بن علي ميرغني وساق باقي نسبه الشريف الحسيني المتقي المكي الطائفي الحنفي الملقب بالمحجوب ولد بمكة وبها نشأ (٩) إن ما أورده النبهاني من أخبار عن عبدالله المحجوب قريب ومشابه لما ذكره الزبيد في معجمه (١٠).

توفي السيد المحجوب في ١٧٩٢م وخلف ابنين هما محمد ابوبكر والد محمد عثمان ، ومحمد يسن الذي تكفل به بعد وفاة أبيه وكان عقيماً لا ولد له ، لقد مات محمد ابوبكر في وقت مبكر ، ومن الواضح أنه لم يكن علي قدر كبير من العلم والتصوف ، ويبدو أنه قد صحب والده الي الطائف بينما بقي يسن في مكة (١١).

ولمحمد عثمان أخ واحد هو عبدالله وقد تولي منصب المفتي في مكة ولذلك قيل له مفتي الظاهر ولأخيه مفتي الباطن ، ولقد كتب عبدالله عدداً من المؤلفات من بينها كتاب (جواذب القلوب) و (مشكاة الأنوار في سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) و (النفحات القدسية من الحضرة العباسية في شرح الصلاة المشيشة) و (تحريض الأغبياء علي الاستغاثة بالأنبياء والأولياء) وغيرها من المصنفات (١٢).

إن السيد محمد عثمان " الختم " هو أوضح شخصية في تاريخ الأسرة الميرغنية لقد أكسب هذا الرجل أسرته مجداً عظيماً ، وأوجد لها احتراما ونفوذا مقدرين في معظم أراضي السودان وارتريا

---

(٨) أحمد محمد أحمد جلي (دكتور) طائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها ط أولي (بيروت : دار خضر للطباعة والنشر ١٩٩٢م) ص ١٣ ، ١٤

(٩) النبهاني ، يوسف بن اسماعيل : جواهر البحار في فضائل النبي المختار (ص) الجزء الثاني (مصطفي البابي الحلبي ١٩٦٠) صفحات ٤٤ ، ٤٠٥

(١٠) أنظر : الملتقطة المنقولة عن معجم السيد المرتضي في رسالة تحريض الأغبياء علي الأستغاثة بالأنبياء والأولياء لمصنفها عبدالله المحجوب الميرغني ضمن مجموعة الرسائل الميرغنية ط ثانية (مصطفي البابي الحلبي بمصر ١٩٧٩) ص ٤

(١١) محمد ابراهيم ابوسليم (أ .د) : مقدمة الأبانة ص ١٢

(١٢) نفسه

وتمكن بفضل ماحباه الله من قدرات ومواهب أن يؤسس قوة ضخمة وأن يحدث تياراً عاتياً من تيارات الإصلاح والتغيير التي بدلت خارطة الولاء والنفوذ في السودان ، ويشبه الدكتور محمد ابراهيم ابوسليم نشاط محمد عثمان في السودان بموجات التغيير التي اجتاحت المجتمع السوداني في وقت من الأوقات مثل موجة تاج الدين البهاري الذي عدل مسار الطريقة القادرية وحولها الي طريقة واسعة الإنتشار بعد أن كانت طريقة العلماء ومحدودة النفوذ ، وموجة أحمد الطيب البشير مؤسس الطريقة السمانية وموجة محمد أحمد المهدي التي حولت مجري التاريخ في السودان(١٣).

ولد السيد محمد عثمان الميرغني بالطائف في قرية السلامة في ربيع ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م ، ماتت أمه وهو في حوالي السابعة من عمره (١٤) والنسبة في الاسم ترجع إلي جد يعرف بعلي الميرغني ، مع اختلاف بين جدين كل واحد منهما يحمل اسم علي ، ولقب ميرغني يكتب باختلاف ايضا في طريقة رسم حروفه فتارة يكتب (ميرغني) واخري يكتب (مرغني) وأحيانا نجده وقد اضيفت إليه همزة في أوله فيصبح (أميرغني) ويجمعه الناس علي ميرغنية ومراغنة اشارة الي هذه الأسرة اما معني هذا اللقب فهو وكما اوضح السيد جعفر قائلا (فمنه لقبهم بالإمارة والغني والمعبر عنهما باميرغني ومعني أمير بلسان الفارسية الشريف وغني بما وهبه الله من سره الظريف) وقد ألمع السيد محمد عثمان إلي ذات المعني فقال (ولقبه الميرغني ، لقب به جده السادس او السابع وأصله كلمتان (أميرغني) يتكلم عن نفسه وعن أصل اللقب الموجود في أسرته ، ويجيء في أكثر من مصدر أن لقب (ميرغني) لفظ مركب من كلمتين معناهما الشريف أو الولي الغني ويعتقد الدكتور ابوسليم أنه من المحتمل أن يكون هذا اللقب نسبة الي مدينة بفرغانة في آسيا اسمها (مرغينان) (١٥).

توفي والد السيد محمد عثمان وعمره نحو عشر سنين فكفله عمه السيد يسن فتلقي علي يديه علوم الفقه والحديث والتفسير وعلوم اللغة (١٦) وجلس للافتاء بالحرم المكي وعمره بين الثالثة عشرة والرابعة عشرة (١٧).

---

(١٣) محمد ابراهيم ابوسليم (أ . د): مقدمة الابانةص ١٤

(١٤) الميرغني محمد عثمان: (مناقب صاحب الراتب) الموجود ضمن الرسائل الميرغنية المشتملة علي اثنتي عشرة رسالة في اداب الطريقة الختمية ، ط ثانية (مصر مصطفي البابي الحلبي ١٩٧٩)ص ٩٩

(١٥) ابوسليم : مقدمة الأبانة النورية ص ٢٨ ، ٢٩

(١٦) الميرغني ، محمد عثمان : المصدر السابق ص ٤

(١٧) الختم ، محمد عثمان : مقدمة منظومة منحية العبيد في علم التوحيد بسلسلة الميرغني الإسلامية ط ثانية (لندن : المكتبة الإسلامية ١٩٩٠) ص ج ، د

لقد ترجم له كثيرون منهم الشيخ عبدالله مرداد ابو الخير في كتابه (نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلي القرن الرابع عشر) الجزء الثاني ، ومنهم أيضا يوسف بن إسماعيل النبهاني في كتابه(جامع كرامات الأولياء) وأورد ترجمته أيضا محمد بن عبدالمجيد السراج في كتابه(المناهج العلية في تراجم السادة الميرغنية) ومنهم أيضا أحمد بن إدريس ابن محمد النصيح صاحب الإبانة (١٨) وتلقي العلوم علي العديد من علماء عصره منهم الشيخ سعيد العامودي ، والشيخ أحمد عبدالكريم الهندي ، والشيخ الأزبكي وغير هؤلاء من المشايخ والعلماء (١٩) وقد أخذ من شيوخه المتعددين خمسة طرق هي النقشبندية والقادرية والشاذلية والجنيدية والميرغنية وهي طريقة جده عبدالله المحجوب ، وقد بني – في وقت لاحق – طريقته علي أساس هذه الطرق الخمسة ، فكان يرمز لها بنقش جم (٢٠) بعد أن تنقل بين المشايخ انتهي به المطاف إلي السيد أحمد بن إدريس ، لقد جاء السيد أحمد الي مكة في أواخر عام ١٢١٣هـ / ١٧٩٩م ، حيث مكث بها مدة اربعة عشر عاما ، عقد خلالها حلقات العلم والدرس واضحي قبلة لطلاب العلم من مختلف ارجاء العالم الإسلامي (٢١).

لقد أرسي ابن إدريس عددا من التعاليم ، كانت دعامات لمدرسته الإصلاحية الصوفية ، حملت هذه المدرسة لواء تجديد الدين بالدعـــوة إلي ازالة ماعلــق به من الشوائب ، وماران عليه من بدع وخرافات (٢٢) لقد اعتمد السيد أحمد منهجا يقوم علي عدة أسس يمكننا أن نلخصها في النقاط التالية :-

١/ إتباع الكتاب والسنة مع رفض الإهتداء بغير هذين المصدرين.

٢/ العناية بتفسير القرآن والحديث والفقه ، والاهتمام بالتربية كوسيلة ناجعة لايجاد الجماعة المسلمة

٣/ التركيز علي ترسيخ المباديء الفاضلة ، ومحاسبة النفس وايجاد المسلم الذاكر لله.

٤/ الدعوة بوسائط سلمية ومترفقة والاهتمام بنشر الدعوة بين غير المسلمين ، والسعي أولا إلي إلى بناء النخبة .

---

(١٨) الميرغني : محمد عثمان : المصدر نفسه ص د

(١٩) النصيح ، أحمد بن ادريس : الأبانة النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية ص٤ ، ٥

(٢٠) علي صالح كرار (دكتور) : الطريقة الإدريسية في السودان الطبعة الأولي (بيروت: دار الجيل ١٩٩١) ص ٥٠

(٢١) نفسه : ص ١٧

(٢٢) محمد ابراهيم ابوسليم : مقدمة الابانة ص ١٦

٥/ رفض الرسوم والشكليات ، والبعد عن العصبية المذهبية ، واشكال العبادة التقليدية (٢٣) .

لقد كان أحمد سلفي في توجهاته وارائه ، لذا أنكر المذاهب الفلسفية مثل الحلول ووحدة الوجود ، وكان يستند علي كتاب الله والحديث الصحيح من كلام الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعلي اجماع الصحابة دون اجماع جميع المسلمين وقد اسقط القياس ، ورد كل اجتهاد بعد الصحابة ورفض العمل به (٢٤).

لقد كان محمد عثمان تلميذا مقربا من نفس السيد أحمد بن ادريس ، ومحمد عثمان كان يبشر ويدعو بصفته تلميذا للسيد أحمد ولم يتنكر محمد عثمان لاستاذه حتي بعد وفاته وانشائه طريقة خاصة به ، فلقد ظل يردد في أبياته استاذية أحمد له ، وسلك مسلكه هذا ابناؤه من بعده واتباعه ، جاء في مصنفه (الأسرار الربانية في مولد خير البرية) والمشهور بالمولد أنه (تلميذ ابن إدريس أحمد ذي الأفعال الأحمدية) (٢٥)

ويقول في الزهور الفائقة : (تلميذ العارف بالله ذي التقديس القدوة الي الحضرتين مولانا البركة ولي نعمتنا الشريف أحمد بن ادريس (٢٦).

لم يحاول تلاميذ أحمد بن ادريس العمل علي إنشاء طرق خاصة بهم في فترة حياته ، بل كانوا يدعون لأفكار استاذهم ويبشرون بتعاليمه حتي تاريخ وفاته ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م لكن خلافا نشب عقب وفاته في أمر خلافته لقد مات إبن إدريس دون أن يشير الي مسألة زعامة المدرسة الإدريسية من بعده ، وقد أدي ذلك الي الخلاف بين كبار تلاميذ السيد احمد وهم محمد عثمان الميرغني ومحمد بن علي السنوسي وابراهيم الرشيد بالإضافة إلي إبناء السيد أحمد بن إدريس أنفسهم(٢٧) وقاد الخلاف حول زعامة المدرسة الإدريسية الي قيام هؤلاء التلاميذ بتأسيس طرق خاصة بهم .

---

(٢٣) حسن مكي محمد أحمد (دكتور) الثقافة السنارية في السودان المغزي والمضمون (بمناسبة مرور ٥٠٠ عام هجري علي قيام سلطنة سنار السلامية (جامعة إفريقيا : مركز البحوث والترجمة) (اغفلت تاريخ الطبع) ص ٧٢

(٢٤) محمد ابراهيم ابوسليم : مقدمة الابانة ص ١٥

(٢٥) الميرغني ، محمد عثمان: الأسرار الربانية في مولد خير البرية ط أولي (الخرطوم : المكتبة الإسلامية ١٩٧٦) ص ٥

(٢٦) الميرغني ، محمد عثمان : الزهور الفائقة في حقوق الطريقة الصادقة ضمن الرسائل الميرغنية في اداب الطريقة الختمية ط ثانية (مصطفي البابي الحلبي مصر ١٩٧٩) ص ٤٨

(٢٧) علي صالح كرار (دكتور) مصدر سابق ص ٤٥

رحلات الميرغني في إطار نشره لدعوته :

اسهمت تحركات الميرغني النشطة إلي إزدياد رصيده البشري من الاحباب والاتباع والتفافهم حول أفكاره ، وكان لها أعظم الأثر علي تطور دعوته ونجاحها ، كانت أولي رحلات الميرغني بتوجيهات من استاذه أحمد بن إدريس فلقد أمره بالتوجه إلي الحبشة ، فسافر إلي هناك حيث وصل إلي منطقة (بلغا) بأرض الحبش ، وإتصل بالناس فتبعه عدد كبير من الخلق وأخذوا عليه الطريق ، ولكن الملك القائم علي أمر هذه المنطقة توجس منه خيفة ، فعمل علي إيذائه ، بعد ذلك رجع السيد محمد عثمان ومكث مع السيد أحمد مدة من الزمن (٢٨) وأقاما بقرية الزينية لفترة زمنية يسيرة حيث عملا علي نشر تعاليم المدرسة الإدريسية هناك (٢٩) ، وأمره أستاذه أن يسافر إلي السودان فتوجه عبر وادي حلفا ماراً بمناطق السكوت والمحس والكنوز (٣٠) واصل محمد عثمان رحلته جنوباً حتي منطقة دنقلا حيث التف حوله الناس وكون عدداً من الأتباع في هذه المنطقة من أشهرهم صالح سوار الذهب ، من أسرة سوار الذهب ، وهي أسرة دينية معروفة (٣١) وتحرك بعد ذلك متجها الي الدبة ، ولقد وجد قبولا طيبا هناك خاصة من الأهالي في منطقةالشايقية ، وكان من بين الذين اتبعوه صالح بن عبدالرحمن بن محمد بن حاج الدويحي ، كون عثمان اتباعه في منطقة الشايقية دون أن يزورها ودون أن يلتقي بجزء منهم بصفة شخصية ، بل كان يكتفي بإرسال الأجازات لهم في مناطقهم وكان يجيز اتباعه وفقا لما يسمعه عنهم وعن سيرتهم ، فلقد اجاز عددا من معلمي القرآن وفضلاء الناس ممن اشتهروا بالصلاح وسعة العلم (٣٢).

يقسم الدكتور علي صالح كرار ممثلي الميرغني في جهات الشايقية إلي اربع طبقات : –

الطبقة الأولي : هي المجموعة التي جاءت من مناطقها في بلاد الشايقية الي الدبة للقاء محمد عثمان هناك حيث عينهم خلفاء في مناطقهم مثال علي هذه المجموعة صالح بن عبدالرحمن بن محمد ابن حاج الدويحي.

الطبقة الثانية : هي مجموعة المشائخ والعلماء والصالحين الذين نالوا اجازات الطريقة الختمية من دون أن يلتقوا بالميرغني ولقد اعتمد هو علي اخبارهم وشهرتهم وعلي رغبتهم الخاصة في أخذ الطريق ومن بين هؤلاء محمد خير بن محمد صالح العراقي من منطقة نوري ، ومحمد خير النضيف ،

---

(٢٨) ابن إدريس ، أحمد بن محمد النصيح : الابانة النورية صفحات ٧، ٨ طبعة المكتبة الإسلامية

(٢٩) نفسه : ص ٨

(٣٠) نفسه : صفحات ٧ ، ٩

(٣١) Ali Salih Karrar : The Sufi brother hoods in the Sudan(London Hurst and C. Company 1992) P. 19

(٣٢) Alih Salih Karrar: Opcit P. 59

ومحمد حمد الجدي *.

الطبقة الثالثة : وهـم الرجال الذين قابلهم في كردفان وينتمون إلي مناطق الشايقية ولقد صحبه هؤلاء في رحلاته ومكثوا معه زمنا في قريته السنية قبل رجوعه إلي مكة ، ومن هؤلاء محمد بن مالك المشهور بود مالك ومحمد بن عبدالحليم المعروف بالنقيب وهو لقب صوفي أعطاه له استاذه وقد أمرهما الميرغني بالعودة إلي منطقتيهما في كورتي وقنتي .

الطبقة الرابعة : وهي تشتمل علي الإفراد الذين سافروا إلي مصوع من ديار الشايقية لملاقاة السيد محمد عثمان الميرغني وأخذ الطريق عليه ومن بين هؤلاء محمد علي الدرويش وهو من منطقة الزومة شمال كريمة ، ولقد جعله الميرغني خليفة له ثم أمره بالرجوع إلي منطقته (٣٣) .

غادر الميرغني الي الدبة في قافلة كبيرة علي رأسها أحد خلفائه هو الخليفة محمد صالح شادول ، ووصلت القافلة إلي كردفان في شوال ١٢٣١هـ/ سبتمبر ١٨١٦م واستقر الميرغني هناك لمدة ثلاث سنين ونيف وخلال فترة استقراره هذه قام بزيارة سنار ، وفي باره تزوج بابنة أحد أتباعه هـي رقية بنت جلاب من الهوارة من بيت ديني معروف ، ولقد ولد من رقية هذه ابنه محمد الحسن ، واستطاع أن يجمع حوله مائتين من الرجال (٣٤) ومن ضمن هؤلاء حماد البيتي والقاضي عربي الذي جعله خليفة خلفاء ولقد ذكره الميرغني في عددمن أدبياته ، ومنهم أيضا السيد اسماعيل الولي – الذي أسس الطريقة الإسماعيلية فيما بعد – وإبراهيم البرقاوي ، ومحمد بادي (٣٥) .

تعرض السيد محمد عثمان وتلاميذه الي مضايقات من جانب المقدوم مسلم حاكم كردفان من قبل سلطان دارفور ، ولقد تنبأ الميرغني وتوعده بزوال حكمه علي يد الغزاه المصريين ، مات لمحمد عثمان أبناء ابراهيم تاج السر وأحمد أثناء هذه الفترة ودفنا في كردفان (٣٦) توجه الميرغني قاصدا سنار ، واتبع تعاليمه عدد من الناس في تلك الأرض أوضحهم السيخ أحمد بن عيسي . وتعرض محمد عثمان الي ما يشبه الامتحان هناك ، فلقد أراد أحد علماء تلك المنطقة المعروفين أن يناظره ،

---

*) ذكر علي صالح كرار الشيخ محمد إبراهيم خضرمتي البديري الدهمشي ضمن هذه الطبقة ، وهذا فيما يبدو غير صحيح فالشيخ محمد إبراهيم لم يأخذ عن السيد محمد عثمان الختم وإنما أخذ عن السيد محمد عثمان الأقرب بين السيد الحسن ، ويبدو أن الفكي إبراهيم والد الشيخ محمد إبراهيم قد أخذ عن الختم ، وكان الفكي إبراهيم أيضا معلما للقرآن وهو مؤسس هذه الأسرة التي جاءت من منطقة (أبكر) قرب الدبة إلي منطقة الأراك (للتوسع في ذلك أنظر : مقال بعنوان (الشيخ ود إبراهيم تور الأراك) مجلة الفيض العدد الرابع

(٣٣) Ali Salih Karrar : Opcit P. P. 68

(٣٤) Ibid P. 60

(٣٥) الرباطابي ، ابن ادريس : الأبانة صفحات ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦

وهو الفقيه إبراهيم ولد بقادي وقد جاء من قريته الي سنار التي وصلها يوم اربعاء ولكنه لم يتمكن من لقاء الميرغني ، إذ أصابته حمي اشتدت عليه حتي توفي ، ولقد عدت هذه كرامة لمحمد عثمان (٣٧)

سافر الميرغني من سنار الي المتمة ، فمكث هناك قرابة السنة و أخذ عدد من الأهالي الطريق عليه ، وبني له مسجداً بتلك المنطقة ومن أشهر الذين أخذوا عنه الشيخ أحمد الطريفي والشيخ الريح والشيخ محمد المجذوب (ت ١٨٣٣) والذب بعثت المجذوبية وجددت علي يديه وقد أتصل في وقت لاحق بالسيد أحمد بن ادريس وصار من أقرب تلاميذه ، انتقل الميرغني من المتمة الي شندي ، وأقام بها فترة حيث أسس مسجد هناك وبايعه عدد كبير من أهل المنطقة علي رأسهم الخليفة محمد عثمان المبشر ، ومحمد ساتي ، وعلي الجزولي وأنذر الميرغني ملك شندي الملك نمر بالغزو التركي – المصري علي بلاده (٣٨) واصل محمد عثمان رحلته فوصل الي الدامر وأراد بعدها الذهاب إلي بربر لكنه علم بمجيء الحملة التركية (٣٩) فقرر الذهاب الي التاكة ، وهي كسلا الحالية وفي طريقه كان يدعو الناس ويأخذون عليه ، وبالقرب من كسلا أسس قريته السنية ، ولقد كتب خطاباً إلي خورشيد باشا يوصيه فيه بأخذ أتباعه بالرحمة واللين وقد حفظ اتباعه هذا الخطاب حتي مقدم الباشا والذي استغرب أمر الخطاب هذا لأنه لم تجمعه صلة بالميرغني ولكنه عامل اتباعه معاملة حسنة (٤٠) ولقد غدت هذه المنطقة مركز قوياً للطريقة الختمية ، وتوافد اليها اتباع الطريقة من كل أنحاء السودان وعمروها وغدت مقرا لهم .

رجع محمد عثمان إلي مكة حيث اتصل باستاذه أحمد بن ادريس ، لقد زار الميرغني السودان ثلاث مرات ، والقول بأنه زار السودان مرة واحدة قول خطأ ، وفي زيارته الثانية جاء وبرفقته زوجته رقية وابنه محمد الحسن إلي التاكة ، وزار سواكن ايضا واستطاع أن ينشيء عددا من الزوايا ويكسب قدرا هائلا من الأتباع رغما من مضايقا أنصار الطريقة المجذوبية وكانت زيارة الميرغني الأخيرة للسودان من مكة الي سواكن وكان برفقته ابنه محمد الحسن وقد اختاره في هذه الرحلة ممثلاً له في السودان (٤١).

اثناء وجود محمد عثمان في السودان كان يتبادل الرسائل مع أستاذه أحمد بن إدريس ، ويبدو

(٣٧) جعفر الصادق بن السيد محمد عثمان الختم : لؤلؤة الحسن الساطعة ص ١١ ، ١٢

(٣٨) أحمد بن إدريس محمد النصيح : الإبانة صفحات من ١٣ الي ١٧ طبعة المكتبة الإسلامية

(٣٩) ذكر ابن ادريس الرباطابي أن جيش اسماعيل نزل في ابي حمد وهذا علي خلاف رواه نعوم شقير الذي قال أن جيوش اسماعيل قد سارت عبر الصحراء من كورتي الي أن بلغت النيل عند الباقير وذلك في ٢٨ فبراير ١٨٢١م ووصلت الغبش تجاه بربر في ٥ مارس ١٨٢١م (أنظر نعوم شقير تاريخ السودان الحديث ج ٣ صفحة ٤٩٧) ايضا : أنظر ابوسليم : تحقيق الأبانة ص ٨٤)

(٤٠) ا أحمد بن إدريس محمد النصيح : الإباتة الصفحات من١٧ ، ٢٠ ط المكتبة الإسلامية

ALI SALIH KARRAR: Ocit P. P. 63 /64 (٤١)

أن السيد أحمد لم يكن راض عن تأخر الميرغني في السودان وكان يستعجله بالحضور حتي يحظي بالخير والبشريات عند استاذه (٤٢).

لقد كان ابن إدريس دائما يخاطب تلميذه بخطاب صوفي رقيق فهو يطلق بحقه الألقاب ذات المضامين الصوفية ، فنجده يخاطبه (بخليفة الرحمن) و (مركز دائرة العرفان) و (الي الولد وقرة العين غاية الأولياء المحمديين بلاشك مهين بشهادة رسول رب العالمين محمد عثمان الأخذ بغاية العروة الوثقي في مقام الإيمان والإحسان) و (إلي الأبن وقرة العين وأثمد العينين محمد عثمان صفي الرحمن الذي اصطفاه الملك الديان وجعله خلاصة المصطفين من حضرة الحنان المنان) و (الي ولده وقرة عينه) (٤٣).

إن الرسائل المتبادلة بين الميرغني وابن إدريس لاتعطي فكرة عن طبيعة العلاقة بين الختمية والإدريسية وكانت لغتها دائما مبهمة وغير واضحة ، كان الميرغني يعلل امتداد فترة بقائه في السودان وتأخره عن استاذه لأسباب اقتصادية وللزيادة المضطردة في حجم أتباعه وافراد اسرته يوما بعد يوم ، ولقد بدأ ابن إدريس ازاء ذلك يفقد الأمل في امكانيه رجوع محمد عثمان ، في آخر الأمر رجع محمد عثمان إلي مكة ومكث مع استاذه بعد انتقاله الي (صبيا) في ١٢٤٣هـ / ١٨٢٧ وظل هناك حتي تاريخ وفاة ابن إدريس في ١٨٣٧(٤٤).

انتقل محمد عثمان بعد وفاة استاذه الي مكة ، وكرس جهده هناك لتأسيس طريقته الختمية ، وأسس عدداً من الزوايا في مكة والمدينة وجدة والطائف ، كما أرسل ابناءه للدعوة في عدد من المناطق فارسل ولده الأكبر محمد سر الختم (١٢٣٠/ ١٢٨٠) إلي اليمن وحضرموت ، وعين ابنه محمد الحسن ممثلاً له في السودان وقد أثار نجاح محمد عثمان في مكة حسد العلماء عليه مما أضطره الي الانتقال الي منطقته الطائف حيث مكث هناك إلي أن توفي في ٢٢ شوال ١٢٦٨هـ الموافق ٢ مايو ١٨٥٢م (٤٥).

---

(٤٢) الرباطابي ، ابن ادريس : الابانة طبعة دار الجيل ص ٢٣١

(٤٣) الرباطابي : ابن ادريس : الابانة طبعة دار الجيل صفحات ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢

(٤٤) Ali Salih Karrar : Frat Opcit P. 66

(٤٥) علي صالح كرار (دكتور): الطريقة الإدريسية في السودان صفحات ٥٠، ٥١

أسباب نجاح الميرغني في السودان :

إن محاولات الميرغني في سواحل البحر الأحمر قد كتب لها الفشل نتيجة لمعارضة أمبراطور الحبشة للتبشير الإسلامي وكذلك نجاح الميرغني في مصر لم يكن كبيراً وذلك لرسوخ الطرق هناك ولكن جولاته في السودان وجدت رواجاً وقبولاً منقطع النظير خاصة في شمال وشرق السودان ، وسنحاول أن نتلمس أهم الأسباب التي قادت الي هذا النجاح الكبير ، وأن نبين كذلك لماذا ضعف انتشار الطريقة في بعض أجزاء السودان والتي قام الميرغني فعلا بزيارتها .

يعزي الدكتور ابوسليم نجاح الميرغني الي ضعف الطرق الصوفية في السودان وتفككها في تلك الآونة ، فالقادرية وهي أكبر الطرق في السودان كانت تعاني من التفكك لانعدام القيادة المركزية (٤٦) ، والسمانية كانت قد اوهنتها الإنقسامات (٤٧) والخلافات الداخلية (٤٨) ، لم تكن الطرق وحدها هي التي تعاني من الفوضي والانقسامات ، بل كان الحكم أيضا تسوده تلك الروح فلقد كانت دولة الفونج في آخر أيامها والنزاعات هي السمة الغالبة علي طبيعة الحكم فيها ولقد أورثت هذه الصراعات ضعفا في الدولة جعلها تنهار في وقت لاحق أمام حملة الفاتحين من الاتراك والمصريين .

---

(٤٦) لم تكن للطريقة القادرية رئاسة موحدة داخل السودان ، بل ظل نفوذها يتوزع بين عدد من المشائخ – وبقي هذا الحال الي وقتنا هذا – ومن أبرز مشيخات الطريقة في السودان ، مشيخة الكباشية مؤسسها الشيخ إبراهيم الكباشي (ت ١٨٦٧م) وسجادة الشيخ حسونه اتباعها هم احباب حسن ود حسونة وسجادة المكاشفي اتباعها في مدني والمناقل والجزيرة ، وسجادة العركيين في الجزيرة وسجاة المكاشفي اتباعها في مدني والمناقل والجزيرة ، وسجادة الشيخ الجعلي في شمال السودان (أنظر :Sudan Pamphlets٦٩ جامعة الخرطوم : مكتبة السودان مطبوع بالآلة الكاتبة صفحات ٢ ، ٣)

(٤٧) محمد إبراهيم ابوسليم : مخطوط في تاريخ مؤسس الختمية في مجلة الدراسات السودانية العدد الأول السنة الأولي(يوليو ١٩٦٨) ص ٤١

(٤٨) لقد تفرعت القيادة داخل الطريقة السمانية ، وظهرت فيها أكثر من مشيخة فكان هناك فرع الشيخ محمد الطيب البصير ووالد محمد الطيب هذا وهو الشيخ البصير كان قد أخذ الطريقة عن الشيخ الطيب رجل أمرحي فأصبح شيخاً مرموقاً من مشائخها ومن الذين أخذوا البيعة السمانية عن البصير الشيخ القرشي ود الزين نفسه ، ثم هناك فرع الشيخ القرشي وفرع الشيخ محمد شريف نورالدائم حفيد الشيخ أحمد الطيب البشير وكان الفرعان الأولان قد أسهما في مجيء المهدية ومساندتها ودعمها الدعم الأوفر ، أما الفرع الأخير فلقد كانت له مواقفه الواضحة ضد المهدية (أحمد عثمان محمد ابراهيم : الجزيرة خلال المهدية ، رسالة ماجستير ، جامعة الخرطوم كلية الآداب – ١٩٧٠ – بالآلة الكاتبة صفحات ٢٠١ الي ١١٢) أنظرأيضا : محمد إبراهيم ابوسليم : بحوث في تاريخ السودان ص ١٦٩ ، ١٧٠).

إن منطقة شمال وشرق السودان كانتا خاضعتين للإدارة الأسمية لحكومة الفونج التي لم تجد أرضاً صلبة لسلطانها في هاتين المنطقتين بحيث انها لم تمارس سلطات حقيقية وفعليه تجاه هاتين المنطقتين ، لقد كان حكم دولة سنار لشمال وشرق السودان حكماً اسمياً فقط (٤٩) وهذا سهل الطريق أمام السيد محمد عثمان وجعله يسيطر علي الأمور في هذه المناطق ويحسم الجولة فيها لصالحه ، ولقد أتضح لنا من قبل وفي أثناء وصفنا لرحلة الميرغني داخل السودان ، إن الجهات الوحيدة التي لم يحرز بها الميرغني وجوداً كبيراً لدعوته ، هي تلك التي تعرض فيها لمضايقات السلطات الحاكمة في تلك المناطق ، لقد حدث ذلك في كردفان في غرب ، السودان حيث تعرض هو وتلاميذه للأذي من قبل المقدوم مسلم ، وواجه في سنار نفس المشكلة حيث تعرض له الوزير ود الأرباب وعمل علي فض الناس من حوله.

إن من أهم الأسباب التي أدت إلي نجاح الميرغني هو نجاحه الكبير في كسب دعم وتأييد الطبقة الإقتصادية ، فلقد أنضمت شخصيات تجارية عرفت بغناها وسعة أموالها ، من بين هذه الشخصيات الخليفة محمد صالح شادول من منطقة الخندق وعدد من البديرية وبعض الأشخاص من الطريفية الجلابة .

إضافة لتأييد هؤلاء ، لقد تمتع الميرغني بدعم كبير من الأسر ذات النفوذ الديني في مناطقها ، لقد عمل الميرغني علي كسب البيوت الدينية الكبيرة وقد نجح في مسعاه إذ وقف إلي جانبه رموز لأسر دينية عريقة ومحترمه ولقد أكسبته هذه الشخصيات دعماً شخصيا وجماهيرياً منقطع النظر ، إن من أوضح الأسر التي اتبعت الميرغني وبايعته أسرة سوار الذهب والتي تحولت من الطريقة القادرية الي الختمية (٥٠) من الأسباب الهامة أيضا التي أدت إلي نجاح الميرغني العريض في السودان هو شخصية الميرغني نفسها ، لقد عرف عن محمد عثمان أنه عالم متمكن من علمه ، وصوفي عارف بأحوال التصوف وغاياته ، إن المواهب الربانية التي اجتمعت عند محمد عثمان مكنته من كسب ثقة الناس وحبهم له وسعيهم الي كسب رضاه والانضمام الي طريقته ، كذلك إن التاريخ العريض لأسرة محمد عثمان يوحي بأنه يشبه السابقين من أفراد هذه الأسرة ، وأهل السودان كانوا علي علم بمكانة ومنزلة عائلة الميرغني فنحن نجد أن الشيخ أحمد الطيب البشير مثلاً كان قد أتصل بالسيد

---

(٤٩) Ali Salih Karrar: Frat Opcit P. 68

(٥٠) Ali Salih Karrar: Frat Opcit P. 68

المحجوب ودرس علي يديه (٥١)

إن من أقوي العوامل التي قادت الناس الي الالتفاف حو ل الميرغني وأتباعه هو اعتقادهم الجازم أنه من آل البيت وأنه بضعه من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)(٥٢) .

لقد أدت كل هذه العوامل مجتمعة إلي نجاح كبير حققه الميرغني علي أرض السودان ، وإلي انخراط غالبية السودانيين في سلك الطريقة الختمية الطريقة الجديدة والوافدة .

بعد وفاة محمد عثمان في ٢ مايو ١٨٥٢م آلت رئاسة الطريقة الي إبنه الأكبر محمد سرالختم ، وتفرعت الطريقة إلي أربعة فروع إقليمية ولقد كان إقليم السودان من نصيب السيد محمد الحسن ابن السيد محمد عثمان الميرغني ، والمعروف في السودان بالسيد الحسن (أب جلابية) (٥٣) لقد ولد السيد الحسن في باره من أعمال كردفان في ١٢ جمادي الثاني ١٢٣٥هـ الموافق ٢٨ مارس ١٨١٩م (٥٤) والدته هي رقية بنت جلاب (٥٥) في عام ١٨٢٢م سافر الحاج إدريس ود جلاب وبرفقته اخته رقية وإبن أخته محمد الحسن إلي الحجاز ثم التقوا بالسيد أحمد بن إدريس الذي دعا الله أن يبارك الحسن وتم ذلك بناء علي رغبة السيدة رقية والدة محمد الحسن ، وبعد فترة عادوا الي باره (٥٦) في ١٨٣٣م سافر الحسن الي مكة للإلتقاء بوالده في مكة وهناك بدأ في دراسة القرآن علي يد أحد الشيوخ القادمين من المدينة وأخذ عن أبيه العلوم الإسلامية وتعلم أيضا بواسطة أمرأة كانت قد أخذت عن جده السيد عبدالله المحجوب .

مارس السيد الحسن رياضات صوفية متصلة ، وقضي جزءا من وقته في المدينة مجاوراً لقبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وقد سبب غيابه الطويل في المدينة قلقاً لوالده فدعاه إلي الحضور الي مكة ومقابلته ولبى الحسن طلب والده ورجع إلي مكة (٥٧) ، بعد ذلك سافر مع أبيه الي سواكن حيث أمره والده بالسفر إلي أجزاء السودان لنشر الطريقة الختمية ممثلا لوالده(٥٨).

قام الحسن بطواف علي المناطق التي أسس فيها محمد عثمان الختم تلاميذاً واتباعاً له ، فقام بزيارة لبربر حيث أستقبل استقبالاً ضخماً بواسطة اتباع أبيه ، الشيء الذي أثار قلق ومخاوف حاكم

---

(٥١) Ali Salih Karrar : Frat Opcit P. 69

(٥٢) Ibid Idem

(٥٣) Ibid P. 73

(٥٤) محمد ابراهيم ابوسليم (أ . د) الأبانة ص ٢٢٣

(٥٥) محمد أحمد حامد محمد خير : الختمية العقيدة والتاريخ والمنهج ط ثاني (الخرطوم : دار المامون ١٩٨٧)ص ٤٧

(٥٦) Ali Salih Karrar : Frat Opcit P. 74

(٥٧) إبن إدريس : أحمد بن إدريس بن محمد النصيح: الإبانة ط المكتبة الإسلامية صفحات ٥٣ ، ٥٤

(٥٨) نفسه : ص ٥٤

بربر فكتب في ذلك تقرير وأرسله إلي أبي ودان الحاكم العام ، وهم ابو ودان بالأقدام علي فعل شيء ضد الحسن إلا أن المنية عاجلته في ١٨٤٣م وقد عدت تلك كرامة السيد الحسن (٥٩) علي نفس نمط والده عين السيد الحسن خلفاء له في منطقة بربر من بين هؤلاء أحمد بن محمد النصيح المعروف بإبن إدريس الرباطابي والذي عين خليفة خلفاء وهي نفس رتبة أبيـــه ، ولقد تزوج الحسن من هذه الأسرة (٦٠).

قام السيد الحسن بزيارة لمناطق الشايقية وهو الشيء الذي لم يفعله والده السيد محمد عثمان علي الرغم من وجود العديد من الاتباع له في تلك المناطق ، أن زيارة السيد الحسن لديار الشايقية عمقت العقيدة الختمية في نفوس أبناء المنطقة ، قام الحسن بزيارة طويلة إلي الزومة حيث أستقبل بواسطة محمد أحمد بن محمد علي الدرويش وأخوه إدريس ، لقد أسهم هذان الأبنان في ترسيخ الطريقة وعملا علي استقرارها في المنطقة وفي أثناء وجود الحسن في الزومة دخلت عدة عائلات تحت عباءة الختمية ، وقدمت للسيد الحسن العديد من الهدايا التي هي عبارة عن قطع أراضي وأشجار نخيل .

و أتصل كذلك الحسن بأسرة النضيفاب في جزيرة ابي رنات ، وهم من أتباع أبيه كما أدخل عدداً من الركابيه في الطريقة من بين هؤلاء الشيخ نافع بن الأمين من سلالة إبراهيم البولاد (٦١).

إن منطقة الشايقية ظلت والي وقتنا هذا تدين بولاء عظيم للختمية وللسادة المراغنة ، وتجلي ذلك في أدبهم الشعبي، فاشعارهم القوميةيظهر فيها هذا الحب الجارف والعاطفة الدينية المتأججة نحو البيت المرغني قالت شاعرة شايقية تتغيث بشيخها :

حسن بتصبق الريح
واقفالي المنادي يصيح ياحسن
بي ساداتي عقدي صحيح
أزور القبة فيها ضريح
وستنا ست مريم جات
منجدة عمت السادات (٦٢)

---

(٥٩) الرباطابي ، ابن ادريس : الإبانة ط دار الجيل مصدر سابق ص ١٣٥ ، ١٣٦

(٦٠) Ali Salih Karrar : Frat Opcit P. 77

(٦١) Ali Salih Karrar : Frat Opcit P. 84

(٦٢) أحمد عثمان ابراهيم : من أشعار الشايقية ط ثانية (الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٩٢) ص ٥٣

وقالت أخري تمني نفسها بالالتحاق في خدمة إحدي سيدات البيت الميرغني :

واقع وراك يابت الشريفة

داير أروح لي بكان بلد الوظيفة (٦٣)

وقد جعل الشايقية يظهرون انتماءهم هذا من حين لآخر حتي أنهم وفي مطلع ومنتصف هذا القرن أصبحوا يغيرون من طريقة رسمهم للشلوخ المألوفة لديهم فأخذوا يوسمون وجوهم بالثلاثة خطوط الرأسية المتوازية علي جانبي الوجه وقد شجعهم علي ذلك ودفعهم اليه هو أن السيد علي الميرغني كان تزين خده ثلاثة شلوخ عمودية فاقتبس الشايقية هذه الشلوخ تبركاً بزعيمهم الروحي (٦٤).

لقد كان الحسن ذا شعبية واسعة ولقد أسهم اسهامات واضحة في التقارب بين الطرق ، وكان سهلا متبسطاً في تعامله مع أهل الطرق الأخري ، ولقد حببه ذلك لدي السودانيين ودفع الزعماء الدينيين ومشائخ الصوفية الي إجلاله وتوقيره (٦٥) لم يكن السيد الحسن يتحرج من أن يعطي راغبا طريقة غير الطريقة الختمية الذي هو شيخها وزعيمها ، وفي ظني أن هذه الأخلاق البسيطة غير المشددة كانت سرا من أسرار نجاح الحسن في ترسيخ الطريقة الختمية في السودان ، عقد السيد الحسن صلات وثيقة مع معاصريه ، من بين هؤلاء المعاصرين أحفاد الشيخ خوجلي الذين غيروا طريقتهم من الشاذلية الي الختمية (٦٦).

ويري (فول) أن سبب هذا التحول راجع إلي رغبة أحفاد الشيخ خوجلي في أن يستفيدوا من علاقة الحسن الميرغني بالحكم التركي المصري (٦٧) ويبدو لي أن هذا ظن خطأ أولا لأن علاقة الحسن بالحكام الأتراك – المصريين لم تكن دائما جيدة علي الرغم من أنه قدم لهم العديد من الخدمات الجليلة في إطار التخفيف من غلواء واحتداد بعض السودانيين تجاه الحكومة في بعض الأوقات – وسيتضح ذلك في معرض كلامنا عن حادثة الجهادية في كسلا ودور السيد الحسن في تهدئة الأمور ، وذلك في الفصل الثاني – وثانيا لأن علاقة الخوجلاب بالسيد الحسن كانت علاقة أصهار وزواج ، فلقد تزوج الحسن من فاطمة بنت محمد الأمين التي أنجبت له فيما بعد السيد أحمد والسيد محمد عثمان (الأقرب) ولقد أهدي الشيخ الأمين بن محمد الأمين أخ فاطمة زوجة الحسن اهدي الحسن أرضاً بني عليها مسيداً وحضرة لعبادته ومن بين الشخصيات الواضحة التي بايعت

---

(٦٣) نفسه : ص ٥٩

(٦٤) يوسف فضل حسن (دكتور): الشلوخ أصلها ووظيفتها في سودان وادي النيل الأوسط ط ثانية (الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٨٩) صفحا ٥٦، ٥٧

(٦٥) محمد أحمد حامد محمد خير : مصدر سابق ص ٤٨، ٥٠

(٦٦) Ali Salih Karrar : Frat Opcit P. 79

(٦٧) John Voll : Ahisory of the Khatmiyyaha Tariqa in the Sudan (Harvard 1969) P. 230

الحسن ودخلت في الطريقة الختمية شخصية أبوبكر محمد المتعارض ابن ابوالمعالي بن حمد ود أم مريوم وهو رجل صالح وكان معلماً للقرآن ، ولقد سافر مع الحسن في جولاته في أنحاء السودان واستقر أخيراً في منطقة مساوي في شمال السودان حيث تزوج هناك ، وقد عدت مساوي مركزاً هاما من مراكز الختمية وبها ولد السيد علي بن السيد محمد عثمان (الأقرب) (٦٨) ومن الشخصيات التي عاصرت الحسن وكانت له أعمق الصلة معها شخصية الشيخ الكباشي ، ولقد زار الحسن قرية الشيخ الكباشي مرات عديدة ولقد كان الشيخ الكباشي يجله ويحترمه غاية الإحترام والصلة بين اتباع الرجلين ظلت باقية ومستمر حتي بعد وفاتهما (٦٩).

ويقال إن الشيخ الكباشي لما سمع بوفاة السيد الحسن أغلق عليه بابه لمدة سبعة أيام ، وقال لأتباعه (الناس الذين خلق الله من أجـــلهم الدنيا فارقوها فماذا بقي لنا نحن) ثم توفي بعده بشهر (٧٠) .

وكانت هناك صلة كبيرة وعظيمة أيضاً بين الحسن والشيخ العبيد و بدر (٧١) وعلاقة الحسن بالسمانية علاقة وثيقة وكان يزور مركز الطريقة السمانية الروحي بأم مرحي شمال أمدرمان ، بصورة دائمة ومستمرة ويقضي الساعات الطوال في ضريح الشيخ أحمد الطيب (٧٢)ولقد جاء في (أزاهير الرياض) أن الحـــسن كان يعطـــي الطريقة الســمانية ويسلكها كما يعطي الطريقة الختمية (٧٣).

---

(٦٨) Ali Salih Karrar Frat OpcitP. 79

(٦٩) Ibid P. 80

(٧٠) محمد أحمد حامد محمد خير : مصدر سابق ص٥٠

(٧١) الشيخ محمد بدر الشهور بالشيخ العبيد ولد سنة ١٨١٠م كان قادريا وحج البيت نحو سنة ١٨٤٠م ثم جاء وأسس مسجده بأم ضبان نحو ١٨٤٧م فلقي شهرة وصيتا ولقد روي المســتر (ريد) الشيخ العبيد التقي بالسيد محمد عثمان الميرغني (الختم) فتنبأ له بأنه سيؤسس مسجدا للقرآن بالسودان وسيكون هذا المسجد في مكان فيه سدرة مليئة بالذباب فتحققت النبؤة وسمي المكان بأم ضبان ولقد أيد المهدي تقية ولم يكن من المؤمنين بها ولقد استفاد المهدي من تأييده الظاهري هذا الكثير وطلب لقاءه إلا أنه لم يلتق به إذ مات الشيخ وهو في طريقه إلي المهدي في ١٨٨٤م أنظر : أحمد عثمان محمد ابراهيم ، الجزيرة خلال المهدية صفحات ١٢ الي ٢٢٤

(٧٢) الشيخ أحمد الطيب بن البشير : (١١٥٥هـ / ١٧٠٣م – ١٢٣٩هـ / ١٨٢٣م) مؤسس الطريقة السمانية في السودان المدفون بأم مرحي علي مسافة ٤٠ كيلومتر شمال امدرمان وقد أخذ طريقته هذه عن استاذه محمد بن عبدالكريم السمان بالمدينة المنورة (أنظر : عبدالمحمود نورالدائم المناقب الصغري للشيخ أحمد الطيب بن البشير) أيضا (الطريقة السمانية – مطبق خاص بالطريقة السمانية امدرمان – جامع الشيخ قريب الله).

(٧٣) Ali Sálih Karrar : Frat Opcit P. 81

لم يغاد السيد الحسن السودان منذ أن عينه والده ممثل له في السودان وحتي تاريخ وفاته في ١٨ شعبان ٢٨٦هـ الموافق ٢٣ نوفمبر ١٨٦٩م (٧٤).

يظن فول (٧٥) إن بعد وفاة السيد الحسن أسهم عدد من أفراد الأسرة الميرغنية الذين يعيشون خارج السودان في شؤون الختمية في السودان من بين هؤلاء محمد سرالختم (ت ١٩١٧) وابنه محمد سرالختم المعروف بمحمد الميرغني للتفريق بينه وبين أبيه .

لقد تناولنا جزءاً من حياة السيد الحسن وصلته بالحكام الأتراك – المصريين في الفصل الثاني من هذه الدراسة عند كلامنا عن الختمية والمهدية ، ذكرنا أيضا قيادة محمد عثمان (الأقرب) – إبن السيد الحسن وخليفته علي زعامة الطريقة – ودوره في شرق السودان حتي وفاته بمصر ولقد اعقب السيد محمد عثمان (الأقرب) علي قيادة الختمية السيد علي بن السيد محمد عثمان بن السيد الحسن الميرغني والذي وضحنا ظروف قيادته وأسهماته وأثره علي الحياة السياسية والإجتماعية في البلاد الي مجيئ الاسقلال وقيام الأحزاب الوطنية ، ولقد ذكرنا ذلك في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(٧٤) Ali Salih Karrar L Frat Opcit 81

(٧٥) علي صالح كرار(دكتور) : الطريقة الإدريسية في السودان ص ٩٥

المبحث الثاني

الأصول الفكرية لطائفة الختمية وأهم تعاليمها

الطريقة الختمية ، طريقة صوفية تنهض أصولها وتقوم علي أساس صوفي عميق ، وتزخر مؤلفات الختمية ومصنفاتهم بالأفكار والمعتقدات ذات النسب الصوفي ، ولمحمد عثمان الميرغني (الختم) تصانيف كثيرة ذكر أحمد بن إدريس الرباطابي صاحب الأبانة جزءا منها ، لقد ألف السيد محمد عثمان كتاباً في التفسير تحت عنوان (تاج التفاسير لكلام الكبير) ، وله كتاب (رحمة الأحد في اقتفاء أثر الرسول الصمد) وكتاب (الوعظ الثمين في تعمير أعصار رمضان الثلاثين) وكتاب (فتح الرسول ومفتاح بابه للدخول لمن أراد إليه الوصول) ، وكتاب (مجموع الأوراد الكبير) و (كتاب (النفحات المدنية في المدائح المصطفوية) وغيرها من المؤلفات (١).

يعتبر تاج التفاسير من أهم مولفات السيد محمد عثمان وهو تفسير يقع في جزئين من القطع الكبير ، يبدأ الجزء الأول بسورة الفاتحة وينتهي بسورة الكهف ، والثاني بسورة مريم وينتهي بالناس(٢) ، ولقد سلك الميرغني في تفسيره للآيات القرآنية مسلكا صوفيا باطنيا فلقد كان يعتمد علي الإلقاء الإلهي الذي يرد عليه أكثر من نقله عن كتب المفسرين ، وقد عزي منهجه هذا في التفسير إلي أوامر نبوية ، وكتب مؤلفة (رحمة لأحد في اقتفاء أثر الرسول الصمد) نتيجة لحضرة نبوية(٣).

ومن أهم مؤلفات محمد عثمان الميرغني كتاب النفحات المكية واللمحات الحقة في شرح أساس الطريقة الختمية، وهو كتاب قيم من الناحية التاريخية يقع في مائتين وثمانية وثلاثين صفحة من القطع لمتوسط ، وفيه شرح شامل للتعاليم الأساسية للطريقة الختمية (٤).

ومن مؤلفات السيد محمد عثمان المولد النبوي المسمي بأسرار الربانية وقد اشتهر اضا بالمولد العثماني نسبة لمؤلفه السيد محمد عثمان ، ويضم أربعة عشر فضلا تتضمن عرضا وافيا لسيرة النبي صلي الله عليه وسلم واوضح محمد عثمان الميرغني أنه الف هذا المولد استجابة لرؤيا منامية شاد فيها الرسول (ص) يأمره فيها بتأليف مولد أحدي قافيتيه هاء والأخري نون (٥).

---

(١) ا محمد عثمان الميرغني (الختم) : مقدمة منظومة منجية العبيد في علم التوحيد ص (ح) (ط

(٢) علي صالح كرار (دكتور) : الطريقة الإدريسية في السودان ص ١١٣ ، ١١٤

(٣) الرباطابي ، ابن ادريس : الآبانة النورية طبعة دار الجيل ص ١٧٥ ، ١٧٦

(٤) محمد عثمان الميرغني : المحات المكية واللمحات الحقة في شرح أساس الطريقة الختمية (ضمن النفحات الربانية)

(٥) الرباطابي ، ابن إدريس : الإبانة ط دار الجيل ص ١٨٧ .

إن مؤلفات السيد محمد عثمان الأخري ورسائله يدور أغلبها حول الطريقة وآدابها ، وعلاقة المريد بشيخه ونظام الطريقة ومبادئها ، وقد جاءت هذه المصنفات في قالب صوفي شأنها شأن أي كتابات صوفية أخري ، وكما هو معهود في مؤلفات الصوفية ورسائلهم أمتلأت رسائل الميرغني بمصطلحات ورموز وشطحات أهل التصوف ، لقد كانت لهجة هذه الرسائل والطريقة صيغت بها هي الأقرب إلي نفوس الناس في ذلك الوقت ، إن أخبار الصالحين وذكر مآثرهم والكلام عن أحوالهم ومقاماتهم ووصف مواجدهم ومجاهداتهم هذه الأمور وحدها هي التي كانت تشغل الناس وتؤثر عليهم وتملأ الفراغ الديني الذي أوجدته ظروف ضعف المعرفة الإسلامية لدي المسلمين في تلك الآونة .

إن التصوف معناه العكوف علي العبادة والإنقطاع إلي الله تعالي والأعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه عامة الناس من لذة ومال وجاه والأنفراد عن الخلق في خلوة للعبادة والتنسك ، ولقد ظهر هذا العلم أول ماظهر في القرن الثاني الهجري (٦) ثم شاع أمره وعظم في القرون التالية وظهر في التاريخ الإسلامي رجال من كبار العلماء والفقهاء وأهل الورع واللذين اتخذوا التصوف رائدا لهم في حياتهم العقلية والمادية ، وبرزت مؤلفات عظيمة في هذا المجال ، ولقد تطورت المعارف الصوفية عند المتصوفة إلي مسائل أعمق وأكبر بتقادم الزمن ، وعراقة الفكر فقد أنتقل الصوفية من مرحلة مجافاة الدنيا ومفارقة زخارفها إلي مرحلة أعظم خطراً من هذه المرحل ، وفيها يقولون أن مجاهدات المؤمن وخلوته وصبره علي الطاعات وذكره الدائم يتبع هذه المسائل غالباً كشف حجاب الحس والإطلاع علي عوالم من أمر الله ليس لصاحب الحس ادراك شيء منها ، وسبب هذا الكشف أن الروح إذ أبتعدت عن ظاهر الأشياء الي باطنها ضعفت الأحوال الحسية لدي المؤمن وقويت لديه أموال الروح بسبب انصرافه إلي الذكر وانشغاله بالتبتل ، ويتنامي ها الأمر فيصبح شهودا بعد أن كان علماً فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية والعلوم الدينية والفتح الإلهي وتقرب ذاته في تحقيق حقيقتها من الأفق الأعلي ، أفق الملائكة وهذه الكشف كثيرا مايعرض لأهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود ما لايدرك بسواهم (٧).

وهكذا فإن الصوفية يعتمدون علي الذوق و علي الكشف والإلهام ولايقولون بالحجة العقلية في كثير من الأحيان بل قد تغمرهم العاطف فيشطحون ويتكلمون بمالايفهم ، لقد زهد كبار الصوفية في

---

(٦) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون (دار البيان) (بدون تاريخ) ص ٤٦٧

(٧)ابن خلدون : مصدر سابق ص ٤٦٩

سائر اللذات البدنية ، زهدوا في الأكل والنوم والاختلاط بالناس ، وأكثروا من الصبر ولبسوا الخشن القاسي ، ويعدوا عن اللين اليسير (٨) لذا رقت أحوالهم وصفت قلوبهم وتطهرت نفوسهم من رذائل الدنيا وخبائثها ، وأنغمسوا من أجل ذلك في أحوال جديدة وعاشوا حياة ذاهلة عن كل ماحولهم ، ولقد ربط جزء من هؤلاء في وقت لاحق – هذا العيش الصوفي بالفلسفة والتي ظهرت في العالم الإسلامي نتيجة لأتساع الرقعة الإسلامية ودخول أجناس كثيرة من أهل الملل الأخري في الإسلام الشيء الذي أدي الي تسرب بعض الفلسفات في الفكر الإسلامي بصفة عامة والي التفكير الصوفي بشكل خاص وقد قاد ذلك بعض المتصوفة الي الجهر باراء تناقض جوهر العقيدة الإسلامية كرأي الحلول ووحدة الوجود (٩).

ويعتقد الدكتور أحمد جلي (١٠) أن الختمية تاثروا بفكرة وحدة الوجود التي معناها تجلي الله وظهوره وتوحده في الكون ، ولقد كان أول من رسخ هذه الفكرة ونادي بها عند الصوفية هو محي الدين بن عربي صاحب (الفتوحات المكية) و(فصوص الحكم) وله أيضاً ديوان شعر تناول فيه العديد من المعاني الصوفية والتي تحمل أبعادا ومضامين فلسفية.

أورد الدكتور / جلي عدداً من الآراء المنسوبة إلي عبدالله المحجوب (الجد) والتي يذكر فيها جملة من المعاني تصور أن المحجوب يعتقد بمبدأ وحدة الوجود ثم يورد أيضاً جزءا من أشعار المحجوب ومحمد عثمان الميرغني لدلالة علي مدي تأثر هذين الرجلين بهذه الفكرة.

وينتقل الدكتور/ جلي لمناقشة مسائل أخري تجيء عند الختمية ويعتقد هو ببطلانها من وجهة النظر الشرعية حيث أنها تخالف وتناقض حقيقة الاعتقاد الإسلامي كما ذكر فيشير الي أن الختمية يؤمنون بنظرية الحقيقة المحمدية أو النور المحمدي ويعتقدون أيضا بالفناء ، ويستشهد بمقتطفات من كتاباتهم ومن أشعار السيد محمد عثمان الميرغني والسيد هاشم بن محمد عثمان ، والسيد محمد سرالختم (١١)

الواقع ان البيت الميرغني نهل من معين الفكر الإسلامي الصوفي ، وأخذ عن علماء ومشايخ ينتمون إلي التيار الصوفي والصوفية في تلك الآونة كانت هي السائدة والغالبة علي اعتقاد الناس وتفكيرهم ، وكانت الألفاظ والتعبيرات الصوفية المبثوثة في مصنفات أهل التصوف نثراً أو شعراً ،

---

(٨)أحمد أمين (دكتور) ظهر الإسلام ج الثاني ط الرابعة(القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦) ص ٥٩

(٩) أحمد أمين (دكتور) : المصدر السابق ص ٥٨

(١٠) أحمد محمد أحمد جلي (دكتور) : مصدر سابق ص ٤٨

(١١) أحمد جلي (دكتور) : مصدر سابق ص ٩٨ ، ٩٩

لاتلقي استنكاراً او استهجاناً وكان العلماء يحملون شطحات الصوفية محملاً حسنا ويتأولون أقوالهم ويفسرونها علي المعاني الطيبة ويجدون المخرج المناسب لكل مقولة نطق بها صوفي في شطحاته ، إن رسائل الميرغنية وبالذات مؤلفات السيد محمد عثمان (الختم) لا تتناول بصورة واضحة ومباشرة مسألة وحدة الوجود صحيح أن المحجوب حاول أن يقدم تفسيرات موضوعية أو شرعية لوحدة الوجود وأنك تشتم في جزء من قصائده ايمانه بهذه الفكر ، إلا أن الكلام عن هذه المسألة يقتصر علي المحجوب وحده ولايتعداه ، أما محمد عثمان الميرغني فنحن لانجد أن هذه القضية تشغل حيزاً عنده أو مكاناً بالقدر الذي يجعل منها فكرة أساسية عند الختمية .

وفي الفناء في ذات الله وفي حب رسول الله (ص) فقد صرحت به مؤلفات محمد عثمان الميرغني قال في إحدي مؤلفاته :(اعلم أن الفناءات ثلاثة والبقاءات ثلاثة فالأول الفناء بالشيخ وذلك أن تخلص حتي يكون مرادك مراده فهذا اذهاب التوسيخ ثم البقاء به وبذلك ترقي الي الفناء في الرسول وهو الفناء الثاني ومن ثم شطح بعض أهل الوصول ثم البقاء بالنبي العظيم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وبه تقوي لسطوع الأنوار العلية والتجليات الجلالية .. وبهذا المشهد ترقي الي الفناء في الرحمن وتصل إلي الوقوف في حضـــرة المنان فتارة تكون في شطح وبهت وتارة تكون في سكر ونعت (١٢) يتكرر لفظ الفناء في أكثر من موضوع من مؤلفات السيد محمد عثمان نجده يقول في مكان آخر :(اللهم صلي وسلم وبارك عليه وببركة الصلاة عليه أجعله اللهم لي سمعاً وبصراً لأفني لديه) (١٣) وكذلك تكثر الأقوال التي تصف نور النبي (ص) في كتب الختمية.

فتذكر انه فيض من نور وتستغيث به وتجعله قبلة للحيري وملاذاً للمتعبين وجهة يلجأ إليها المسلمون فرارا من ضيق الدنيا وعنتها وتفيض أشعار أهل البيت الميرغني بهذ المعاني فمثلا السيد جعفر الصادق بن السيد محمد عثمان الميرغني له ديوان شعر كامل في مدح النبي صلي الله عليه وسلم (١٤).

والحق أن التفكير الصوفي الصميم في جملته لايكاد يخرج عن مثل هذه المعاني فالمتصوفة يعلون من شأن الرسول (ص) ويبالغون في مدحه وذكر صفاته والتعلق به لدرجة الفناء فيه بمعني حبه هو وحده والذهول عمن سواه من الخلق هذا أمر عام تشترك فيه كل جماعات الصوفية ، أما فكرة النور

---

(١٢) الميرغني ، محمد عثمان: الهبات المقتبسة لإظهار المسائل الخمسة والعطايا الدقيق في اسرار الطريقة (ضمن مجموعة الرسائل الميرغنية) ص ٢٤ ، ٢٥.

(١٣) الميرغني ، محمد عثمان : المسبعة الميرغنية المشتملة علي الصلوات الأسبوعية المسماه فتح الرسول ط ثانية (مصطفي البابي الحلبي بمصر ١٩٥٧) ص ١٩٧

(١٤) جعفر الصادق بن محمد عثمان الميرغني : الديوان الكبير المسمي رياض المديح وجلاء كل ذي ود صحيح وشفاء كل قلب جريح في مدح النبي (ص) (مصطفي البابي الحلبي بمصر) ١٩٣٣م

المحمدي التي حاول الدكتور / جلي أن يجعل الختمية من دعاتها ومن المعتقدين بها فالواضح أن الختمية ومن خلال رسائلهم لايتعدي أيمانهم بالنور المحمدي سوي أنه نور معنوي يشمل الخلق بفيضه ويغمر الناس بضياءه ليس غير ذلك ، أن تناول الختمية لمثل هذه المسائل بصورة عامة لم يكن تناولاً فلسفياً متعمقاً فالسيد محمد عثمان (الختم) لم يجنح في أسلوب خطابه مع أصحابه واتباعه الي التعقيد والي إثارة قضايا المتفلسفة إنما هو مربي ومعلم وشيخ أكثر رسائله كانت تتكلم عن الذكر وآدابه والتصوف ومسالكه وطرقه ووصف النبي صلي الله عليه وسلم ومدحه بكامل الصفات والصلاة عليه بأتم وأرفع الصلوات .

الختم أو القطبية :

إنتهي المتصوفة إلي القول بأن لكل زمان قطب أو غوث وهو الذي علي يديه مدار العالم وهو الذي يسمي صاحب الوقت وهو الذي يلي أعلي مقام في الولاية ومن بعده يأتي الأوتاد ثم النجباء ثم الإبدال ولكل من هؤلاء مهمة ومقام ، والختم هو الذي يشغل أعلي مقام في الولاية فالخاتم هو خاتم الأولياء وهذا ماذهب إليه محي الدين بن عربي وعلي بن محمد بن وفا وقد أشار محمد عثمان الميرغني اليهما وأخذ عنهما وتأثر بما كتباه ، إلا أن آراءه عن الختم لم تنح منحاً فلسفياً وإنما أوردها أقوالا مجردة كما هي (١٥).

ولقد أشار الميرغني إلي أقوال هذين الرجلين في كتابه النفحات المكية ، ويورد السيد جعفر مايسميه بمبشرات الختم حيث يقول فيه (هذه رسالة في بعض مخاطبات الختم رضي الله عنه وأعني به الختم الذي مقامه دون مقام المهدي الذي ليس فوقه من الأولياء إلا المهدي المنتظر ... فمن مخاطباته التي خوطب بها قال الختم : قيل لي أن من صحبك يموت علي الولاية قال الختم : قيل لي أن من سلم عليك تحاتت ذنوبه قال الختم : قيل أن مقامك الوسيلة مع النبي وفاطمة والحسن والحسين والمهدي وأنت السادس وليس أحد معكم فيها بالسكنة ومن دخلها غيركم فإنما يدخلها علي سبيل الزيارة .. قال الختم : قيل أن معني الختم علي أربعة أوجه : الأول : الختم النبوي والثاني : الختم المهدي والثالث : ختمي والرابع : الختم الذي لا ولي بعده وهو في آخر الزمان فعلمت من ذلك شأني ، قال الختم : قيل أنه لم يقدر علي معرفة حقيقتك أحد من كبار الأولياء العارفين وكم عالج ذلك كثيرا من الآغوات وكبار الأفراد فلم يعرفوا حقيقة ذلك وأعظمهم معرفة بك محي الدين بن عربي .. قال الختم : قيل لي أن كرسيا لك حول العرش بعد كرسي المهدي وأغلب هذه المبشرات لي وللمهدي .. قال الختم : قيل لي لو كان بعد النبي نبي لم تكن إلا أنت والمهدي قال الختم : قيل لي أن جميع الأولياء يتمنون مقامك . قال الختم : قيل لغوث الأغوات هل تعلم أحدا أكمل منك فأشار الي صورتي وصورة المهدي)(١٦).

وهكذا فإن الختم الميرغني يستفيض في شرح مقامه وبيان منزلته من الأولياء والمكان الذي هو

---

(١٥) محمد إبراهيم أبوسليم : مقدمة الإبانة ص ٣١ ، ٣٢

(١٦) الميرغني ، جعفر محمد عثمان : رسالة الختم في بعض المبشرات ضمن (الرسائل الميرغنية) ص ١١٠ ، ١١١ .

عليه عند أهل الديوان الصوفي وعند أصحاب الحضرات الإلهية.

ويردد هذه المعاني في شعره موضحا مكانته عند الله ومنزلته من النبي(صلى الله عليه وسلم) يقول في قصيدة له :

نحن المفاتيح للحضرات أجمعها
ونحن باب الإله الواحد الصمد
ونحن متكئات المصطفي طه
نحن أيضا فراش الرجل للأبد

الي قوله :

ونحن برزقه بين النبوة
والولاية العظمي أي وبابه الأحمد (١٧)

ويقول في أبيات أخري مبيناً منزلته من النبي (صلى الله عليه وسلم):

ومن يبايعه بايعني ومن يكن
صافحه صافحني بايعه عن عجل
يدخله جنة نعيم نعم فردوس
جواره يحتظي من غير ما ملل
بشري لكم يا صحاب الختم قاطبة
من مثلكم في الوري قد نال أو ينل
مانلتموا غيركم يسند لأخيار
وانتم تسندون عن النبي عل (١٨)

---

(١٧) جعفر بن محمد عثمان الميرغني ، : رسالة الختم في بعض المبشرات ص ١١٥

(١٨) الرباطابي ، إبن ادريس : مصدر سابق ص ٢٠٤

ولاية آل البيت :

إن مبدأ ولاية أهل البيت هو الركن الأول الذي يقوم عليه أعتقاد الختمية (١٩) حيث يظنون أن سلالة بيت النبي (ص) هي صاحبة الحق الأول في القيام بأمر المسلمين وفي انقياد المسلمين واتباعهم لهذا النسل من بيت الرسول (ص) إن الختمية والشيعة يتفقون علي هذا المبدأ ويجعلونه الأصل الأول في معتقدهم .

يري الختمية أن الأئمة من بيت النبي (ص) لايضلون إذا ضل الناس وسيبقون علي الحق إلي يوم القيامة ، ويذهب بعض أتباع الطريقة الي تأويل الآيات القرآنية تأويلاً يتفق مع هذا المبدأ فتفسر الآية الكريمة (وأعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا) ان حبل الله مقصود به ال البيت (٢٠) ويسوق بعضهم الأدلة من الأحاديث النبوية لتعضيد موقفهم وتأييد أعتقادهم ومن أبرز الأحاديث حديث (غديرخم) والذي يعدونه أوضح دليل علي أن الولاية أعطيت لعلي بن أبي طالب من عند الرسول(ص) فيكون هو الوصي علي المسلمين بعد وفاة النبي (ص) ولقد تعلل الشيعة بنفس هذا الحديث في مسألة الولاية وقووه وأعتبروه أصلاً من الأصول الدينية التي يجب العمل بها ولايتم ايمان المرء إلا علي أساسها ، وكذا يري اتباع الطريقة الختمية يقول أحد كبار علمائهم : (كان لابد من الأخبار بولاية أمير المؤمنين وأهل البيت لأن ذلك من أصول الدين لا من فروعه) (٢١).

ويقول ايضا (يوم الغدير ، وكانت الفرائض مفروضة والسنن مستنة والحدود قائمة والحلال بين والحرام بين إذا ما الذي كان ينقص الدين حتي نزلت هذه الآية ؟ ما كان ينقص الدين إلا اعلان ولاية أمير المؤمنين وخلافته في ذلك الجمع حتي يتواتر الخبر عنه صلي الله عليه وسلم وحتي لايطمع نو مطمع في الخلافة عنده بعده (ص) غير الذي أعلن حقه بأمر من الله في ذلك الجمع والعترة من بعده عليهم السلام)(٢٢) .

وترد في كتابات الختمية أيضا ، مجموعة أحاديث أخري يتخذونها دليلاً علي ماذهبوا إليه من وجوب طاعة والتزام آل بيت النبي (ص) وعترته من بعده ، من ذلك حديث :(إلا أن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق) (٢٣).

---

(١٩) هذا الاتجاه القائل بنصرة آل البيت والمتسرب من الفكر الشيعي ، اتجاه حديث في الطريقة لم يعرفه أهل الطريقة من قبل وماقالوا به ، إلاّ أنه يظهر بجلاء عند اثنين من اتباعها من أصحاب المؤلفات عن الختمية ، الأول: هو الشيخ علي زين العابدين و والثاني : هو الأستاذ محمد أحمد حامد حمد خير ، وقد ذكر لي الدكتورأحمد بن محمد عثمان الميرغني أنهم يرفضون هذا التيار الذي يقارب بين فك الشيعة والختمية .

(٢٠) محمد أحمد حامد محمد خير : براءة الشيعة من مفتريات الوهابية (بدون تاريخ) ص ٢٥

(٢١) الشيخ علي زين العابدين :(تاج الأوليا والأولياء ط أولي (بيروت دار مكتبة الهلال ١٩٨٤م) ص ١٢٧

(٢٢) نفسه ص ١٢٩

(٢٣) محد أحمد حامد محمد خير : براءة الشيعة ص ١٠

وغير هذا من الأحاديث المؤيدة لمذهبهم ، ويبدو أن جملة هذه الأحاديث لم ترد في كتابي الحديث الأكبر تشدداً ودقة في جمع الأحاديث وهما البخاري ومسلم وحديث (غديرخم) مشكرك في صحته، أضف إلي ذلك وجود أحاديث صحيحة تشير إلا أن التفاضل بين الناس لايكون إلا علي أساس التقوي والورع والدين والصلاح ، وقد وصف الرسول (ص) سلمان الفارسي بأنه من آل البيت أشارة إلي أنه لايغني عن أهل بيته شيئا والي أن أبنته لو سرقت لأقام عليها الحد ، وغير ذلك من الأقوال والأفعال التي تدل علي النبي (ص) لم يكن يميز أهل بيته بشيء إلا هذه الأشياء التي خصهم الله بها من التطهير وبعض الأحكام الخاصة ، والمسلمون جميعهم يحترمون البيت النبوي وذريته ويجلونه ، أما مسألة الخلافة والولاية وأمامة المسلمين فلقد مات النبي (ص) دون أن يفتي فيها بقول ، بل تركها بين المسلمين يتشاورون فيها .

الكرامات:

الكرامة أمر خارق للعادة يظهر علي يد ولي وهي تختلف عن المعجزة ، فالمعجزة أمر خارق للعادة يقع علي يد رسول وتختلف عن الاستدراج وهو أمر خارق للعادة يحدث علي يد الكافر أو الفاسق (٢٤) فالذي للأنبياء معجزات وللأولياء كرامات وللأعداء مخادعات (٢٥).

والكرامة في نظر الدين أمر وارد ومقبول ولقد أجمع المسلمون علي أن حدوث الكرامة جائز وأن بعض الكرامات قد حدثت بالفعل لبعض أولياء الله ، وتمثل الكرامة لدي المتصوفة أرثاً فكرياً عظيماً وهم أشهر من تكلم عنها وتفيض كتبهم بذكرها وقد أشتطوا فيها اشتطاطاً كبيراً حتي قالوا إن المشي علي الماء وكلام البهائم وطي الأرض وماسواه مما يدخل في باب المعجزات هو من الكرامات الجائزة في حق الأولياء.

مما يروي في هذا المجال أن السهل بن عبدالله التستري الصوفي الشهير قال :(وفد علي رجل من الأبدال . وهي مرتبة صوفية – وتكلمت معه وأخذ يسألني في مسائل عن الحقيقة وأجيبه عنها حتي وقت أداء الصلاة فغطس في الماء ولم يزل تحت الماء حتي وقت الزوال وعندما اذن اخي إبراهيم اذان الظهر خرج من تحت الماء من غير أن يبتل من جسمه مقدار شعره وصلي صلاة الظهر وكان يغطس في الماء لايخرج منه الي وقت الصلاة وبقي معي مدة علي هذه الحال الي أن عاد من حيث أتي(٢٦).

---

(٢٤) عبدالله حسن زروق (دكتور) قضايا التصوف الإسلامي ط أولي (الخرطوم : دار الفكر ١٩٨٥) ص ٣٣٣

(٢٥) الكلاباذي ، أبوبكر محمد : التعرف لمذهب أهل التصوف حققه عبدالحليم محمود وطه عبدالباقي سرور (القاهرة : البابي الحلبي ١٩٦٠) ص ٧٣

(٢٦) النبهاني : جامع كرامات الأولياء صفحات ٤١٢ ، ٤١٣

وقد أطلع الختمية علي كتابات المتصوفة في هذا المجال وهي كثيرة جداً ، وقد مضت الختمية علي ذات الطريقة وعدت الكرامة مصدراً لاستنباط الأحكام ودليل علي فضل مشائخهم وعظيم منزلتهم عند الله فهي تأييد الله لهم في الأرض ونصرته لهم علي أعدائهم .

وكتاب الأبانة يذكر طرفاً من كرامات مشائخ الختمية ومن ذلك كرامة السيد الختم التي تحققت مع خليفته الخليفة محمد بن عبدالحليم الملقب بالنقيب وقد أطلق السيد محمد عثمان الختم هذا اللقب عليه – وهو لقب له مدلوله الصوفي –فقد خالف هذا الخليفة استاذه السيد محمد عثمان(الختم) وسافر دون أن يأخذ منه الأذن بالسفر فتوفي حال وصوله الي مقصده ، وعلق الختم علي ذلك أنه لو أخذ الأذن لما أصابه ضرر (٢٧).

ومن ذلك أيضا مارواه ابن ادريس الرباطابي عن ابن للسيد محمد عثمان الختم ركب مع أمه في (سنبوك) ولم تمض علي ولادته بضع أشهر فهاجت عليهم ريح بوسط البحر وكان معهم عدد من النسوة والمريدين ، فانقلب (السنبوك) بما فيه من الناس فرأي الناس ان الطفل الرضيع أدخل يده تحت السنبوك وأعاده كما كان حتي استوي علي سطح البحر (٢٨)

وهذه الكرامة قريبة من كرامة أخري تحكي عن أحد خلفاء الختمية هو الشيخ ود إبراهيم وهو ولي مشهور بمنطقة الأراك وقبره يزار بقصد التبرك وقضاء الحوائج ، فلقد روي أن ود شبو (٢٩) وهو شاعر معروف بجهات الشايقية سافر لأداء فريضة الحج وفي أثناء عودته علي ظهر مركب أشرفت علي الغرق وخاف من فيها وأصابهم ذعر فاستنجد ود شبو (٣٠)بعدد من الصالحين ومنهم ودابراهيم فحفظوا السفينة ونجا من فيها ، وقال في ذلك شعرا مايزال يروي علي الألسنة .

وهكذا فإننا نري أن الختمية كغيرهم من الصوفية تعلو عندهم الكرامة وترتفع مكانتها ويرونها مصدر خير ودليل صلاح لمشاخهم ورمزاً لصحة نهجهم.

---

(٢٧) الرباطابي ، أحمد بن إدريس : الأبانة ط دار الجيل ص ١٠٠

(٢٨) نفسه : ص ١٤٨

(٢٩) الشاعر محمد علي شبو : (١٨٨٨/ ١٩٢٧) من منطقة (مقاشي) شمال كريمة كانت له صحبة ومحبة مع الشيخ ودابراهيم الولي المشهور في منطقة الأراك شمال كريمة (مقابلة: الخليفة محمد نور)

(٣٠) الخليفة محمد نور البدوي : مقابلة عن (الكرامة عند الختمية) بمنزله بامبدة الحارة (١٢) ٢٧/١٠/١٩٩٦م

الخلفاء :

يذكر الاستاذ محمد أحمد حامد في كتابه عن الختمية أصل مهمة الخليفة ودوره في الطريقة مع إبرز سماته التي يجب أن يتصف بها ، يقول : (الخليفة باختصار يجب أن يعمل ماكان الإمام الختم يعمله لو وجد في تلك المنطقة وهذا ما أشار إليه (الختم) بقوله (خليفتي كذاتي) .. و يجب علي الخليفة أن يكون مواظبا علي الحضرات والجمع والجماعات حاثا لابناء الطريقة علي الإذكار وحضور الاحتفالات الدينية التي هي مؤتمرات الطريقـــة وعليه أن يكون قدوة مطلعا علي الأمور الدينية والدنيوية (٣١)

فالخليفة هو ممثل الطريقة في منطقته ، وهو الصلة بين الأتباع وزعامة البيت المرغني ، ولقد لعب عدد من الخلفاء أدوارا هامة في مسيرة الطريقة الختمية وقد بلغ الإخلاص والولاء ببعضهم أنه ارتحل من دياره ليكون في صحبة المراغنة حيثما ما حلوا وأينما كان وجودهم فالخلفاء لهم أهميتهم القصوي في الطريقة ولقد تكلم محمد عثمان (الختم) عن عدد من خلفائه في أدبياته مما يدل علي منزلتهم عنده .

---

(٣١) محمد أحمد حامد محمد : مصدر سابق ص ١٣٨

العبادة والذكر عند الختمية :

تقوم الختمية علي مجموعة أذكار وأوراد واستغفارات ، يلتزم المريدون بأدائها وترد يدها في أوقات معلومة ، ولقد تميزت الطريقة التي كتبت بها هذه الأوراد بالبساطة والسلاسة لتتناسب مع العامة وتجد طريقها الي قلوبهم (٣٢) .

ولقد قسمـــها صاحب الإبانة الي قسمين: قسم يتلي ويقرأه المريد منفرداً ، وجزء يقرأه الاتباع جماعة (٣٣).

وأبرز كتب الذكر عند الختمية راتب الميرغني وسمي الأنوار المتراكمة يقرأ صباح مساء (٣٤) ويقرأ عقب الأساس ويتلي بصورة جماعية (٣٥) ولقد شرح السيد محمد عثمان راتبه هذا شرحين شرح صغير وشرح كبير (٣٦).

ويقرأ المريد بعد الراتب التوسلين أحدهما هو التوسل المسمي بحبل الوصال باسماء الله الحسني ، والثاني التوسل بأسماء الرجال للسيد محمد سرالختم (٣٧) ويقرأ المريد دعوة قبلها ويقرأ يسن ويتبعها بالاخلاص ثلاث مرات ويتلو المبايعه (٣٨).

ولقد سمح الميرغني لاتباعه بتلاوة بعض الاذكار التي لم يقم هو بوضعها من ذلك أنه أجاز لهم قرأة الصلاة المشيشية ودلائل الخيرات وحزب السيف وأحزاب السيد ابي الحسن الشاذلي وأوراد لمحي الدين بن عربي (٣٩) وألف السيد محمد عثمان لاتباعه أيضا رسالة تتناول سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وذكر صفاته الخلقية ولقدصاغها في نظم شعري وسماها (النور البراق في مدح النبي المصادق (ص) (٤٠) .

ولقد كان محمد عثمان الميرغني فيما ذكر صاحب الإبانة يحث أتباعه علي الذكر ويزجرهم عن ترك مجالس الذكر ، وكان يأمرهم بالحضور عنده في أول الثلث الأخير من الليل لأداء أذكار السحر بشكل جماعي ، ويعين أفراداً يوكل إليهم أمر تنظيم صفوف الصلاة وايقاظ الاتبـاع لها وترتيب حلقات الذكر (٤١).

---

(٣٢) علي صالح كرار (دكتور) : الطريقة الإدريسية في السودان ص ١١٠
(٣٣) الرباطابي : مصدر سابق ص ١٩١
(٣٤) الميرغني ، محمد عثمان : راتب الميرغني القاهرة: النشر والإعلان والتوزيع(بدون تاريخ)
(٣٥) الرباطابي : مصدر سابق ص ١٩١
(٣٦) نفسه : صفحات ١٩١ ، ١٩٢
(٣٧) الميرغني ، محمد عثمان: راتب الميرغني
(٣٨) الرباطابي : مصدر سابق ص ١٩٢
(٣٩) نفسه : ص ١٩٩
(٤٠) الميرغني ، محمد عثمان : النور البراق في مدح النبي المصداق ط ثانية (الخرطوم : المكتبة الإسلامية ١٩٨١).
(٤١) الرباطابي : مصدر سابق ص ١٥٢، ١٥٣

في النصف الأول من هذا القرن أدخل الختمية أستخدام الطبول والدفوف في مدائحهم التي تؤدي بصورة جماعية (٤٢) ويري السيد أحمد بن محمد عثمان الميرغني أن أدخال هذه الطبول كان القصد منه تحقيق أهداف سياسية ، ويقول السيد أحمد إن عمهم السيد محمد الحسن في كسلا (ت ١٩٧٨م) كان يحظر علي أتباعه استخدام أي آلات مصاحبة للذكر ، مع عدم ترديد المدائح التي تصف مناقب وفضائل السادة المراغنة والإكتفاء بمدح الرسول صلي الله عليه وسلم (٤٣) وهذا يعطي ايحاء بأن تيار الختمية الموجود في كسلا يختلف نوعاً ما عن فرع المراغنة في الخرطوم بحري ، فالفرع الأول فيه نزوع الي المدرسة السلفية ، أو إلي التيار الصوفي المعتدل الذي يعتمد علي النصوص والأدلة الشرعية.

وقد أنكر الأستاذ أبو الحسن الندوي عند زيارته لدار السيد علي ماكان يردده شباب الختمية في لحن(شيء لله ياحسن .. ياسلطان الزمن) ورأي أنه يعارض التوحيد ففيه استغاثة بشيخ ميت وأعتقاد بأنه سلطان الزمن وتسأل عما إذا كان السيد يعلم هذا فيوافقهم عليه أولا يعلمه(٤٤) والقصيـــدة هذه منســوبة لود المتعارض وهو أحد تلاميذ السيد الحسن وقد مدحه في قصائد كثيرة (٤٥).

وكان السيد محمد عثمان ينهي المنتمين إليه عن لبس المرقعات ويأمرهم بلبس الثياب الجميلة الحسنة والعمائم الطويلة ويكسي أتباعه أجود الثياب ويدعوهم الي تحسين هيئتهم (٤٦) علي خلاف ما نجد عند أكثر أهل الطرق الأخري .

وهكذا فإننا نري أن الطريقة الختمية أختصت نفسها بأوراد وأذكار وأستغفارات وأدعية وصلوات يلتزم بها أفراد الطائفة ويتلونها بشكل معلوم ومرسوم .

يتضح لنا من خلال ماذكرناه في هذا المبحث بعض أهم عقائد الختمية وأصولهم الفكرية ، إن بعض أهل الطريقة الختمية يجعلون فى الأصل الأول في منهجها الفكري ، الاعتقاد بوجوب ولاية أهل البيت وعترتهم وأنهم ثقاة عدول وهم علي الحق دائما ، ويظهر لنا أيضا عبر ما ذكرناه أن السيد محمد عثمان الميرغني قد وضع أساسا دقيقا لجماعته ، ونظمها وجمعها علي أوراد الطريقة وأنكارها وكان ذلك علي خلاف منهج أستاذه السيد أحمد بن ادريس الذي لم يهتم بالتدوين وتنظيم الاتباع كما أهتم الميرغني بذلك.

---

(٤٢) أكد لي أكثر من شخص من الذين أشتركوا فيما عرف بشباب الختمية أنهم كانوا يؤدون المدائح مجردة من مصاحبة الدفوف والطبول إلي أن طلب منهم في وقت متأخر إدخال هذه الآلات .

(٤٣) السيد أحمد بن محمد عثمان الميرغني : (مقابلة)

(٤٤) أبوالحسن علي الحسني الندوي: مذكرات سائح في الشرق العربي ط أولي (مكتبة وهبة ١٩٥٤م)ص ٢٠٣

(٤٥) محمد أحمد محمد خير : مصدر سابق ص ٥٠

(٤٦) الرياطابي : الإبانة طبعة دار الجيل ، ص ١٥٤

الفصل الثاني

الختمية والدولة المهدية :

المبحث الأول : المهدية والطرق الصوفية

المبحث الثاني : الختمية والدولة المهدية

المبحث الأول

المهدية والطرق الصوفية

أولا : نشأة محمد أحمد المهدي وصلته بالسمانية :

تتفق الروايات علي أن محمد أحمد بن عبدالله قائد الدعوة المهدية في السودان ولد في ١٢ أغسطس سنة ١٨٤٤م بجزيرة لبب من أسرة تقول إن نسبها يتصل ببيت الرسول (محمد) عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ومن بين أفراد هذه الأسرة أشتهر جد لمحمد أحمد عرف عنه الصلاح والتقوي (١) كان والد محمد أحمد نجاراً يصنع المراكب النهرية وقد دعته ظروف العمل الي الانتقال بابنائه الاربعة (ومحمد أحمد أصغرهم وكان إذ ذاك طفلا) إلي كرري شمال الخرطوم وهناك وفي تلك المنطقة توفي والده ودفن وأتجه أبناؤه من بعده الي الاشتغال بحرفة أبيهم سوي محمد أحمد الذي كان علي نقيض أخوته فلقد مال الي طلب العلم فاتجه إلى دراسة القرآن فأخذ أولاً علي شيخه الأمين الصويلح في مسجد ودعيسي بالجزيرة علوم الفقه والقرآن ، ثم أنتقل الي الشيخ محمد الخير ودرس عنده ومالت نفسه بعد ذلك الي الانتظام في سلك التصوف ، فرغب في الإنتماء والالتحاق بالطريقة السمانية فكان له ذلك في العام ١٨٦١م علي يد الشيخ محمد شريف حفيد الشيخ أحمد الطيب مؤسس الطريقة في السودان (٢) بدأت علامات النبوغ والتفوق تظهر علي محمد أحمد مع زهد وحرص علي العبادة والإبتعاد عن زخارف الدنيا مما جذب انتباه شيخه محمد شريف له فقربه منه وسمح له لاحقاً بأن ينوب عنه في إعطاء الطريقة (٣)

في العام ١٨٧١م غادر محمد أحمد الي الجزيرة أبا حيث أزداد أمر صلاحه أنتشاراً فالتف حوله عدد من المحبين والاتباع ، وأقترح محمد أحمد علي شيخه الانتقال الي منطقة العراديب فقبل الشيخ كلام تلميذه وعمل به ، ولكن المودة التي قامت بين الأستاذ محمد شريف وبين محمد أحمد لم يتح لها أن تدوم طويلاً فلقد تحولت هذه المودة الي جفاء ثم إلي عداء (٤) ، ويبدو أن سبب ذلك تبعا لما يروي هي الاعتراضات التي أبداها محمد أحمد تجاه الأفراح التقليدية التي أقامها الاستاذ محمد شريف

---

(١) مكي شبيكة (دكتور) : السودان والثورة المهدية الجزء الأول من موقعة أبا الي حصار الخرطوم ط أولي (الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٧٨) ص ٩ طبع بمطابع دار الطباعة – جامعة الخرطوم

(٢) نعوم شقير : تاريخ السودان الحديث الجزء الثالث (بدون تاريخ) ص ٣٨

(٣) مكي شبيكة (دكتور) : السودان عبر القرون (بيروت – دار الثقافة ١٩٦٧) ص ٢٥٢ طبع بمطابع غريب بيروت

(٤) نعوم شقير : مصدر سابق ص ٦٣٩

أبتهاجا بختان أنجاله ، أو ربما تكون هي الغيرة الفطرية من الشيخ علي تلميذه الذي أصبح يحتل مكانة كبري في قلوب أهل الطريقة السمانية ، وعلي كل فقد أدت تلك الخلافات إلي طرد محمد أحمد من الطريقة السمانية (٥).

ولايعتقد أحفاد الشيخ محمد شريف نور الدائم أن جدهم قد بدر منه ما يخالف الشريعة أو يناقض السلوك الإسلامي لذلك فهم يرنون القصة التي تري أن سبب الخلاف بين محمد أحمد وابستاذه أساسها الاحتفالات التي أقامها محمد شريف ، ويظن الدكتور حسن الفاتح قريب الله أن العقل يرفض مثل هذه الرواية ، فليس من الممكن أن تنتهي العلاقة بين هذين الرجلين بعد أن دامت قرابة العشرين عاما وقد قامت هذه العلاقة علي الأحترام والثقة والمحبة في الله وطيلة هذه السنوات الم يتح لمحمد أحمد أن يعلم من سلوك أستاذه ومن أخلاقه ما أراد أن يعرفه فهذه السنين الطويلة كافية أن تبين أحوال الإنسان وميوله وأن تحدد أتجاهات تفكيره وتدبيره للأشياء ، فالقصة من هذه الوجهة مرفوضة عند أحفاد الاستاذ محمد شريف (٦).

وينقل نعوم شقير سبب الخلاف عن الشيخ محمد شريف نفسه الذي يقول :(إن محمد أحمد لما كثرت أنصاره ومريدوه كبرت نفسه وسول له الشيطان الغرور أنه أعظم من في الأرض وأنه المهدي المنتظر فأسر إلي بدعواه ورغب أن أكون له وزيراً ومستشاراً فيجعل الأمر كله في يدي وذلك في عام ١٨٧٨م فزجرته ونهبته مراراً ولما لم ينتهي عقدت معه مجلساً في أبا جمعت اليه القضاة والنظار وبعض الأخيار .. أمرته بالرجوع عن ضلالته وأشهدت الله ورسوله والحاضرين أني أن رجع شاطرته نصف ما ملكت يدي من مال وعقار فخرج من المجلس لمشاورة من معه من الأصحاب فلم يرجع ومن ذلك الوقت نفيته من الطريقة وقلت لأصحابي أن يغربوه إذا جاءهم ونصحت لقائم مقام (الكوه) بوجوب القبض عليه وزجه في السجن خوفا من تجسم الأمر فلم يفعل وقال إنه رجل صالح وصاحب الخضر ولايمسه بسوء(٧).

ويظن (هولت) أن رواية شقير مشكوك في أمرها لأسباب عديدة لعل أهمها هو أنها رويت عن الشيخ محمد شريف نفسه ولقد عمل محمد شريف تحت إمرة المهدي ولذلك يمكن أن تكون هذه الرواية مجرد محاولة لتملق الغزاة البريطانيين والمصريين ولتصوير أنه الشخص الأوحد الذي حدس بوادر خطر الثورة المهدية في مهدها ، لذلك يعتقد هولت(أن السبب الرئيسي للنزاع هو الشعبية المتزايدة التي تمتع بها محمد أحمد علي حساب الاستاذ محمد شريف (٨)

---

(٥) مكي شبيكة(دكتور): مصدر سابق ص ٢٥٣

(٦)حسن الفاتح قريب الله (دكتور): (مقابلة عن المهدية وصلتها بالسمانية) في منزله بودنوباوي حي القلعة أبريل ١٩٩٦

(٧) نعوم شقير : مصدر سابق ص ٦٤٠

(٨) ب. م هولت : دولة المهدية في السودان عهد الخليفة عبدالله ١٨٨٥ -١٨٩٨ ترجمة هنري رياض وآخرون(بيروت : دار الجيل) (اغفلت تاريخ الطبع) ص ٣٠ ، ٣١

ثانيا : الفكرة المهدية والتصوف :

إن فكرة المخلص أو المنقذ الذي سيظهر يوماً ما لينهي العناء والظلم فكرة قديمة مشتركة بين الأديان السماوية الثلاثة علي أختلاف بينهم في المفهوم والرؤية(٩) ، ولقد ظهرت في تاريخ الإسلام منذ وقت مبكر ويعرف الشخص المخلص عند المسلمين(بالمهدي) وكلمة(مهدي) لم ترد في القرآن الكريم ولم ترد في الصحيحين ولكنها وردت في بعض كتب الحديث الأخري الأقل تشدداً كابن ماجة والترمذي وغيرهما وخلاصة ما جاء في هذه الكتب عن المهدي أنه شخص يظهر في آخر الزمان يجدد الدين ويملأ الدنيا عدلاً بعد أن ملئت جوراً ويكون من ذرية فاطمة بنت الرسول صلي الله عليه وسلم(١٠) ولقد شكك ابن خلدون في صحة عدد وافر من هذه الأحاديث (١١) فلقد سعي الشيعة الي أختلاف الأحاديث التي تؤيد منطقهم وتسند آرائهم .

علي أن الأمامة عند أهل السنة لاتعدوا أن تكون رياسة عامة علي أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص لا علاقة لها بالنسب النبوي والأمور الباطنية(١٢) وترجع جذور فكرة المهدية في تاريخ الإسلام في أيام الخلاف الذي أعقب مقتل سيدنا عثمان ودفع المسلمين الي ما عرف فيما بعد (بالفتنة الكبري) ولقد كان الشيعة أسبق الفرق الي أعتناق هذه العقيدة وأشدهم تعلقاً بها ولقد كان شعورهم الدائم بالظلم وتطلعهم الي وضع جديد عادل يكفل لهم حريتهم يجعلهم باستمرار متمسكين وعلي أمتداد العهود الزمنية بفكرة المهدي (١٣)

غير أننا نجد أن فكرة (المجدد) أو (المصلح) تتبوأ مكاناً أهم عند أهل السنة من فكرة المهدي ، وأعتقادهم هذا نابع من حديث عن الرسول صلي الله عليه وسلم في مامعناه ان الله يبعث لهذه الأمة علي رأس كل قرن من يجدد لها أمر دينها فيعيد الإسلام إلي صفائه ويزيل ماعلاه من شوائب (١٤) لذلك فإن أعتقاد عامة أهل السنة يناقض تماماً ماتدين به الشيعة فهم لايؤمنون أن

---

(٩)تاج السر حران : (فكرة المهدية عند الشيعة الاثنتا عشرية) في دراسات تاريخ المهدية اعده للنشر د. عمر عبدالرازق(الخرطوم قسم التاريخ جامعة الخرطوم) العدد (١) ص ٣٩ الطابعون مطابع وأستديو رأي أصل هذه البحوث قدمت للمؤتمر العالمي لتاريخ المهدية الذي أنعقد في الخرطوم في ٢٩ نوفمبر الي ٢ ديسمبر ١٩٨١م

(١٠) محمد أحمد الحاج (بروفيسور) : المهدية وأثرها الديني في السودان) في الإسلام في السودان الإعداد بروفيسور مدثر عبدالرحيم ود. الطيب زين العابدين الخرطوم دار الأصالة للصحافة والنشر ١٩٨٧ ط أولي ص ٤٣ أصل هذه الأبحاث قدمت في المؤتمر الأول لجماعة الفكر والثقافة الإسلامية قاعة الصداقة – الخرطوم ٢٧ – ٣٠ نوفمبر ١٩٨٢م

(١١) محمد إبراهيم ابوسليم (أ .د) الحركة الفكرية في المهدية الطبعة الأولي (الخرطوم قسم تاليف والنشر جامعة الخرطوم ١٩٧٠) ص (١) طبع بدار الطباعة جامعة الخرطوم

(١٢) سعد محمد حسن : المهدية في الإسلام منذ أقدم العصور حتي اليوم الطبعة الأولي ١٩٥٣) طبع بمطابع دار الكتاب العربي بمصر ص

(١٣) عبدالوهاب أحمد عبدالحمن (دكتور) توشكي دراسة تاريخية لحملة عبدالرحمن النجومي علي مصر ط أولي (الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٧٩) ص ٥ ، ٦ الطابعون دار الطباعة دار جامعة الخرطوم للنشر

(١٤) نفسه ص ١١

المهدي ولد من الف عام وغاب في سرداب أو نحو ذلك ثم يخرج في آخر الزمـــــان كما هو في صلب العقيدة الشيعية (١٥).

ويظن الدكتور /حسن مكي أن التعريفات التي حاول أن يقدمها السيد الصادق المهدي في كتابه(يسألونك عند المهدية) – وهي تعريفات لبيان ماهية النظرية المهدية – ليست تتفق ولا تتطابق مع شخصية المهدي عند أهل السنة ، فلقد ذكر مؤلف كتاب (ويسألونك عن المهدية) أن المهدية هي عبارة عن نداء قيادة دينية ملهمة توحد كلمة المسلمين وتجدد الدين وتدعو إلي الإلتزام بالكتاب والسنة وتشغر كذلك فراغ الخلافة عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهذا لايتمشي مع حقيقة الفكر المهدية التي تقوم علي مبدأ سلطان الكشف والذي يتجاوز ويتخطي سلطان النقل وحدود النص ، ومثل هذه التعريف يصلح للتعبير عن (المجدد) الذي يحيي السنة المندثرة ويبد الدين المفقود ، ولا ينبغي أن نطلقه علي المهدي لأن المهدي نتاج طبيعي لتطور الفكر الباطني وغرس المنهج الشيعي (١٦).

كذلك يظن الدكتور مكي أن تجربة الأمة المسلمة مع الفكرة المهدية كانت غير سعيدة وظاهرة الثورة في إطار المهدية لم تؤد الي حركة أصلاح أو نهضة حقيقية ، لأن شخصية المهدي قادت جماهير المسلمين الي تعطيل نور العقل وإعلاء شأن الكشف وهتك الستر حتي يغدو للكشف مرجعا أساسياً للتشريع وأصدار الأحكام (١٧)

وقد أهتم الصوفية أيضا بأمور الغيب وعنوا بكشف الحجب واختراقها حي صاروا يرون أن صاحب الكشف يطلع علي عوالم من أمر الله ليس لصاحب الحس ان يدرك شيئا منها(١٨) فهم كما يوضح ابن خلدون يذكرون من حقائق الوجود ما لايدرك سواهم وكذلك يدركون كثيرا من الواقعات قبل حدوثها وينصرفون بهمة وقوة نفوسهم في الموجودات السفلية (١٩) .

وهذا يبين لنا موقف الصوفية أزاء فكرة المهدي فلقد أقام هؤلاء دولة غيبية علي رأسها شخصية مهدوية تدير شئون الكون وتتصرف فيه هذه الشخصية هي الغوث أو (القطب) وتحته في إدارة شؤون الكون الأوتاد الأربعة بعدد أركان العالم ، ثم البدلاء السبعة والنقباء الثلاثمائة والنجباء الأربعين وخاتم الأقطاب هو النائب الأول للنور المحمدي المهدي المنتظر كما جاء في كتابات محي

---

(١٥) سعد محمد حسن : مصدر سابق ص ١٧٥

(١٦)حسن مكي محمد أحمد (دكتور) : الثقافة السنارية المغزي المضمون بمناسبة مرور ٥٠٠ عام هجري علي قيام سلطنة سنار الإسلامية اصدار رقم ١٥ (جامعة إفريقيا العالمية – مركز البحوث والترجمة) ص ٧٦

أنظر أيضاً : الصادق المهدي (يسألونك عن المهدي) (بيروت دار القضايا ١٩٧٥) مطابع الأهرام التجارية ص ١٦٤

(١٧) حسن مكي محمد أحمد (دكتور) نفس المصدر ص ٧٥

(١٨) أحمد عثمان ابراهيم : (الثورة المهدية فكرة ونظرية) مجلة الدراسات السودانية معهد الدراسات الإفريقية والاسيوية جامعة الخرطوم العدد الأول المجلد الخامس اغسطس ١٩٧٥ ، ص ٨

(١٩) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون (بيروت دار البيان) (بدون تاريخ) ص ٤٧٠

الدين ابن عربي (٢٠) وهو أشهر من تكلم عن المهدي المنتظر فلقد ذكره في الفتوحات المكية في مصنفه الخاص عن المهدي المنتظر (عنقاء المغرب) ولقد غدت مؤلفات هذا الرجل حجة فيما بعد عند السودانيين في الدفاع عن مهدي السودان أو في معارضته (٢١) ، ولقد وفدت الأخبار التي تحمل فكرة المهدي وتتحدث عنه من مصدرين كما يعتقد أبوسليم أولاهما : مصدر عام وهو قراءة المصادر الإسلامية التي تكلمت عن المهدي وأنتشار الطرق الصوفية والاتصال بالمسلمين في البلدان الأخري عن طريق الحج والتجارة وغيرهما من أمور الحياة التي تدفع الناس الي الاتصال ببعضها ، أما المصدر الثاني فهو مصدر خاص وهو أثر حركة الجهاد الفلاني التي قام بها الشيخ عثمان دان فوديو ثم واصلها أخوه عبدالله وابنه محمد بيلو (٢٢) ، فلقد بشر الشيخ دان فوديو بدنو ظهور المهدي في المناطق الواقعة شرقي بلاده فلقد قال في أحد كتبه يظهر في الشرق أي المهدي وسأتبعه إن كنت حياً وإن لم أكن حياً فعلي المؤمنين تأييده والهجرة إليه وقال في قصيدة موجهة لجماعته تمسكوا ببيعة امرأتكم الي أن يظهر المهدي ، وعندما يظهر فأنتم وامرائكم بايعوه ولقد رسم الشيخ عثمان للناس طريق الهجرة شرقاً للمهدي وأوضح منازل الهجرة حتي الوصول الي بلاد النيل ونتيجة لهذه البشارات كثرت الهجرة شرقاً بحثا عن المهدي أو مكوثاً في سبيل ظهوره (٢٣).

وهذا يبين لنا مدي أنتشار فكرة المهدي ، ورواجها وقبول الناس لها علماء وعامة علي أمتداد السودان الكبير ، مما هيأ فيما بعد لمحمد أحمد (مهدي السودان) حسن القبول وعظم الترحيب ، ولا غزو إذن أن نجد صوفياً مثل حمد النحلان يسافر من السودان إلي مكة ويدعي المهدية هناك في العام ١٨٦٠م علي أيام الفونج (٢٤) لقد تأثر المهدي في منهجه النظري بتيارات الفكر الصوفي التي كانت سائدة انذاك وتجلي ذلك في طريقة عرضه لدعوته وبيان فكرته للناس فهو يستدل ويستشهد بمصادر صوفية لرجال هم من أساطين الفكر الصوفي. كإبن عربي وأحمد بن إدريس وعبدالوهاب الشعراني وغير هؤلاء (٢٥) أضف الي ذلك أن المهدي عاش في أجواء صوفية عميقة ودائماً ما تزدحم كتاباته بعدد وافر من الألفاظ والمعاني التي تصور لنا اجوائه الصوفية تلك فهو يزعم ان سيد الوجود يخبره في حالة اليقظة الكاملة بأنه المهدي الذي هو مخلوق ليس كسائر الناس وأصله من عنان قلب النبي (صلى الله عليه وسلم) ويذكر في منشور آخر أن الشيخ البصير – أحد

---

(٢٠) الصادق الصديق المهدي : أيدلوجية المهدية في دراسات في تاريخ المهدية المجلد الأول اعده للنشر د. عمر عبدالرازق النقر (الخرطوم : قسم التاريخ جامعة الخرطوم) الطابعون مطابع وستديو راي ص ٥٨ أصل هذه البحوث قدمت للمؤتمر العالمي لتاريخ الهدية الخرطوم ٢٩ نوفمبر الي ٢ ديسمبر ١٩٨١م

(٢١) محمد ابراهيم ابوسليم (أ . د) : مصدر سابق ص ٢

(٢٢) محمد إبراهيم أبوسليم (أ . د) مصدر سابق ص ٤

(٢٣) الصادق المهدي : ايدلوجية المهدية ص ٦٠

(٢٤) ودضيف الله ، محمد النور : مصدر سابق ص ١٦٤

(٢٥) محمد إبراهيم أبوسليم : مصدر سابق ص ٨

اقطاب الدعوة السمانية – (جدنا) وهذه الصلة ليست صلة اللحم والدم وانما هي صلة النسب الصوفي التي تري التسلسل وتثبت الأصل الصوفي والتلميذ عند الصوفية كابن الصلب يرث عنه معارفه كما يرث ابن الصلب الممتلكات الدنيوية(٢٦).

ويبدو لنا عبر ما أوردنا مدي الثقافة الصوفية التي عمت الفكرة المهدية وشملتها ، كذلك وضح لنا التيارات الفكرية التي سادت آنذاك والتي هيأت المجتمع لتقبل المهدية ، ولقد أسهم الفكر الصوفي في أحداث هذه الأجواء وتشبع بها وأفاد منها إفادات كبري في صناعة نظرياته ، وتكوين أفكاره مما كفل له القبول والرضي بين قطاعات متعددة في المجتمع السوداني .

(٢٦) أحمد عثمان ابراهيم : المهدية فكرة ونظرية صفحات ١٠ ، ١١

ثالثا : المهدية والطرق الصوفية :

أمر المهدي بإبطال المذاهب والطرق وحض الناس علي مفارقة انتماءتهم القديمة ، ودفعهم الي التخلي عن ولاءاتهم السابقة ، وكان يأمر أتباعه بترك الطرق ويدعوهم الي الالتزام بالنهج الذي أختطه لهم دون التعلق بشيء آخر .

ويظهر لنا هذا التوجه من خلال منشور بعثه الخليفة عبدالله لبعض أتباع التيجانية يوضح لهم فيه أن المهدي قد أبطل الطرق الصوفية ومنع نشاطها فالمهدي كما يقول موعود برفع المذاهب وتطهير الأرض من الخلاف (٢٧) وكان المهدي قد بين لمن حوله بأنه يتلقي الإشارة من الرسول (صلى الله عليه وسلم) فهو ليس في حاجة إلي الاقتداء بائمة المذاهب ومشايخ الطرق (٢٨) ويظن الدكتور عبدالقادر محمود أن المهدي قد وقع نتيجة لإجتهاده الذاتي في أخطاء كثيرة من بينها حكمه بتكفير من يخالفه وغير هذا من الاجتهادات الخاصة به (٢٩) ويبدو لنا أن الدوافع التي دعت المهدي إلي الغاء الطرق أمران :

أولا : صلة المهدي بالطريقة السمانية وخلافه مع شيخها .

ثانيا : إن المهدي لم يلق تأييداً من مشائخ الطرق الصوفية أبان دعوته (٣٠) ويتجلي لنا مذهب المهدي في الغاء الطرق من خلال خطابات عديدة بعث بها الي أفراد عديدين من بين هؤلاء الشيخ محمد الأمين الهندي الذي أشترط المهدي عليه عدم التعلق بالأئمة والاعتماد علي الكتاب والسنة ، وأيضا الشيخ أحمد حمدان العركي والذي أشار عليه بنفس الأمر (٣١) ، ولقد سعي المهدي علي أبعاد الناس عن كل ما يتصل بالطرق الصوفية وبمشائخ هذه الطرق فنجده يأمر في واحد من منشوراته بالتخلي عن أستخدام الكلمتين (السيد) و (الشيخ) وهما اللقبان اللذان كان يخاطب بهما المشائخ (٣٢) .

أما رجال الطرق فقد أنقسموا الي طائفتين واحدة أيدت المهدية تزييدا مطلقاً وأخري نافقت ، فصمتت أو أطرت علي التأييد أطراً (٣٣) أمثال الشيخ محمد الازيرق بودمدني ، والشيخ العبيد بدر بأم ضبان (٣٤) ومن المؤيدين المباركين لدعوة المهدي الشيخ محمد الطيب البصير بالجزيرة (٣٥)

---

(٢٧) المهدي : منشورات المهدية تحقيق الدكتور محمد ابراهيم ابوسليم ص ٦١ ، ٦٢

(٢٨) المهدي : منشورات المهدي ج . ط ٣ (الخرطوم إدارة المحفوظات المركزية ١٩٦٤) ص ٢

(٢٩)عبدالقادر محمود(دكتور) الفكر الصوفي مصادره وتياراته والوانه ط أولي(دار الفكر العربي١٩٦٩)ص ١٠٢

(٣٠) محمد محجوب مالك (المقاومة الداخلية لحركة المهدية ١٨٨١ – ١٨٩٨ ط أولي (بيروت – دار الجيل ١٩٨٧) ص ١٥٢

(٣١) محمد إبراهيم ابوسليم : الحركة الفكري في المهدية ص ٤٢

(٣٢) أحمد عثمان ابراهيم : الجزيرة في خلال المهدية ١٨٨١ – ١٨٩٨(جامعة الخرطوم كلية الآداب سبتمبر ١٩٧٠) مطبوعة بالالة الكاتبة ص ١٩٩

(٣٣) أحمد عثمان ابراهيم: نفسه ص ٢٠٠

(٣٤) نفسه : ص ٢٠١

(٣٥) نفسه : نفس الصفحة

والشيخ أحمد المهدي (٣٦) بديار الشايقية (٣٧) ، ولقد كان تأييد محمد الطيب البصير وأخلاصه للمهدية لم يوجد له نظير بين قادة الطرق فلقد كان الشيخ محمد الطيب قوي الصلة بالمهدي ، فلقد جمعته بالمهدي صلات الدم والأصهار والفكر والعمل الجهادي المشترك ، كان المهدي متزوجاً بالسرة بنت الشيخ الطيب ، والشيخ الطيب أيضاً هو حفيد القرشي ود الزين أستاذ المهدي فام محمد الطيب هي السيدة كلثوم بنت الشيخ القرشي(٣٨) ، لذلك كان محمد الطيب البصير من خواص المهدي الذين أفضي لهم المهدي بما ينوي حينـــــما كانت دعوة المهدي في مراحلها الأولي (٣٩) .

أما الشيخ العبيد بدر فيعتبر من أهم أهل الطرق الذين لم يؤمنوا بالمهدية منذ أول عهدها ولم يحملوا لواءها إلا إضطراراً فلقد هدده المهدي حتي أرغمه علي أن يكون بجواره (٤٠)

بعد وفاة المهدي زاد شك رجال الطرق في المهدية علي أنهم لم يستطيعوا الخروج علي سلطة الخليفة فظلوا مهدويين تقية يمارسون تعاليمهم في ستر ومن خلف حجاب (٤١) ، اضافة الي ماذكرناه ينبغي علينا أن نشير إلي أن المهدي سعي الي كسب ود المشائخ وزعامات الطرق الصوفية لعلمه بمكانة هؤلاء وتأثيرهم علي الناس ومكانتهم في نفوس مريديهم ومن مشايخ الطرق الذين سعي المهدي إليهم وزارهم في مناطقهم السيد / محمد المكي إسماعيل شيخ الطريقة الإسماعيلية ، وأسرة صالح سوار الذهب الذي صحب السيد محمد عثمان إلي الابيض وتوفي بها في عام ١٨٧٥م (٤٢).

فالمهدي كان يعلم نفوذ أهل الطرق وتأثيرهم علي اتباعهم لذلك فقد كان زعماء الصوفية هم أول من خاطبهم المهدي وسعي الي خطب ودهم وكسبهم الي صفه واستقطابهم الي جانبه ، فهم دائرة دعوته الأولي التي اراد أن يضمنها الي جواره ، ولعله فشل نسبيا في تحقيق غايته تلك فهو لم يحصل علي تأييد مطلق من مشائخ الطرق ، والذين بايعوا المهدية منهم فيهم نفر رافض لها ولم قبلها إلا خوفا ورهبة فلقد كانت للمهدية لاترحم تجاه معارضيها ، وتعرض قادة عظام في دولة المهدية الي القتل بصورة مذكرة وغير ذلك من الوان البطش التي عاشتها المعارضة الداخلية لحركة المهدية .

---

(٣٦) ولد الشيخ أحمد الهدي في منتصف القرن التاسع عشر-في منطقة(أوسلي) غرب جزيرة مساوي ، أعتق مباديء الطريقة التجانية ودعا إليها ، وذكر شقير أن المهدي أرسل الي الشيخ الهدي سيفاً والف ريال وجعله أميراً علي دنقلا فقبل الهدية وبايع محمد الخير (أنظر : نعوم شقير تاريخ السودان ج ٣ ص ٧٨٧) وقد تبعه في جهاده مع المهدية عدد من الهواره و الحسانية قد بهم واقعتين ضد الترك ولكنه خسرهما أجبر الشيخ الهدي جماعة من خلفاء الختمية من منطقة الشايقية في الخروج معه ، ولقد قتل هو وهؤلاء الذين فسرهم علي مرافقته في سبتمبر ١٨٨٤ (أنظر : Ali Salih Karrar :S fi brother hoods in theSudan P. P. 122, 123 , 124)

(٣٧) محمد محجوب مالك : مصدر سابق ص ١٥٢

(٣٨) أحمد عثمان محمد ابراهيم: الجزيرة خلال المهدية ص ٢٠١ ، ٢٠٢

(٣٩) نفسه : ص ٢٠٢

(٤٠) احمد عثمان محمد ابراهيم : مصدر سابق ص ٢١٥

(٤١) محمد محجوب مالك : مصدر سابق ص ١٥٣

(٤٢) ب . م هولت : دولة المهدية في السودان في عهد الخليفة عبدالله ص ٣٧

المبحث الثاني
الختمية والدولة المهدية

في الواقع وقبل أن نخوض في البحث عن شكل العلاقة التي جمعت بين الطريقة الختمية وبين الحكومة المهدية ، يجب أن نوضح طبيعة الصلات التي نشأت بين قادة الختمية وبين الحكومة التركية قبل المهدية .

في البداية لقد حاول بعض الباحثين أن يعقد صلة بين وفود محمد عثمان(الختم) إلي السودان وبين مجيء الحاكم التركي للتقارب الزمني الحاصل في هاتين الحادثين ، ولقد أراد بعضهم أن يقول أن الواقعتين مرتبطتان (١) ولكن البروفيســـــور ابوسليم يري أن هذا الكلام محض افتراء وأن السيد محمد عثمان لم يحضر إلي السودان بتدبير المصريين وهو كذلك لم يمهد لغزو محمد علي كما قيل (٢) ، بل أن محمد عثمان (الختم) لم تكن له علاقة بالترك لأنه لم يتصل بهم مباشرة ، ملتزما بسلوك أستاذه السيد أحمد بن ادريس في العزف عن الاتصال بالحكام ، ولم تنشأ علاقة حقيقية بين الختمية والاتراك إلابعد وفاة محمد عثمان الختم وقيام ابنه السيد محمد الحسن بشؤون الطائفة (٣) ولقد كان المسؤولون في شرق السودان يجلونه ويحترمونه ويعتقدون بصلاحه وأستقامته علي الحق حتي ان مظهر باشا وصفه في تقرير له بأنه (حافظا للقرآن ميالا للسكوت نفورا من التعاظم) (٤).

ولقد علم حكام شرق السودان مكانة هذا الرجل ونفوذه بين القبائل في تلك المنطقة ، فتقربوا منه وأقاموا الصلات بينهم وبينه ولقد قدم لهم السيد محمد الحسن عوناً مخلصاً في عدد من المواقف أهمها ثورة الجهادية السود والتي نشبت في كسلا في العام ١٨٦٥م والتي أزهقت فيها الأرواح بشكل عنيف ولقد تدخل محمد الحسن الميرغني علي مرات عديدة لوقف النزاع بين الطرفين (٥) ورغماً عن أن السيد الحسن وصف بأنه ينفر من السياسة ويكره الفتن وإراقة الدماء (٦) إلا أن بعضهم حاول أن يقول إن الحسن كان يلعب دوره في أزمة الجهادية لصالح الإدارة التركية وهدأ الجو تمهيدا للقضاء علي الثوار ويقال أيضاً أن بعض الدوائر أتهمته بأنه كان وراء هذه الحركة(٧) ويقرر الدكتور أبوسليم أن الحسن كان مخلصاً في سعيه وجاداً فيه(٨).

---

(١) Holy Families and Islam in the Sudan (Holt P. M.P. 8)
نقلا عن تاريخ الحركة الوطنية في السودان (محمد عمر بشير) ص ٢١
(٢) محمد ابراهيم ابوسليم : تحقيق كتاب الابانةالنورية في شأن صاحب الطريقة الختمية) ص٣٢
(٣) نفسه : نفس الصفحة
(٤) الناصر عبدالله ابوكروق : تاريخ مدينة كسلا ١٨٨٣ – ١٨٩٧ – رسالة ماجستير (جامعة القاهرة – كلية الآداب ١٩٦٧ – مطبوعة بالالة الكاتبة ص ٤٧
(٥) نعوم شقير : مصدر سابق ص ٥٤٥ الي ٥٥٣
(٦) الناصر أبوكروق : مصدرسابق ص ٤٧
(٧) محمد إبراهيم ابوسليم : تحقيق (الإبانة النورية) ص ٢٢
(٨) نفسه : نفس الصفحة

ولكن مواقف الإدارة التركية تجاه الختمية كانت تختلف من محل الي آخر ، ففي منطقة النيل كان الحكام يكرهون المواكب الهائلة التي كانت تحيط بزعامة الختمية عندما يحضرون الي هناك وينظرون الي (الخلفاء) كاناس عاطلين عن العمل وينكرون عليهم جمع الهدايا ويتضايقون من المشاكل التي يثيرونها من واقع المنافسة فيما بينهم (٩).

ولقد أختط بعض مديرى التركية سياسات معادية للختمية وضغطوا عليم ضغطاً شديدا (١٠).

ونخلص علي ضوء ماتقدم أن الذي قام بين الختمية والاتراك لم يكن أبداً حلفاً قوياً بين حكومة البلاد وطائفة صوفية كما حاول نعوم شقير أن يصور هذه العلاقة (١١) ولقد ذهب أبوسليم الي أن إطلاق القول بوجود تعاون وثيق بين الختمية والإدارة التركية مما أوجد حقداً وحسداً من بقية الجماعات الصوفية تجاه الختمية أمر يعوزه الدليل وتنقصه الحجة (١٢) .

يعتقد كذلك الباحث الناصر أبوكروق أن الحكومة لم تكن تحابي الطريقة الختمية في أغلب الأحيان وتفضلها علي غيرها من الطرق إلا أنها كانت مجبرة علي ذلك ، نتيجة للنفوذ المتزايد لهذه الجماعة، وللمكانة العظيمة التي وجدتها هذه الطريقة عند جمهور السودانيين (١٣) ولقد شكل هذا الأمر مصدر قلق للإدارة التركية في بعض الأوقات كما ذكرنا .

إن المعارضة التي أبداها الختمية تجاه المهدية أوجدت نوعاً من الحلف المنظم والهدف المشترك بين الحكومة والختمية عمل هذا الحلف لاحقاً في صد هجمات المهديين علي مناطق النفوذ الختمي في شرق السودان .

ونحن بطبيعة الحال نحتاج الي توضيح السبب الذي دفع الختمية الي معاداة الحركة المهدية ومجابهتها ويمكن أن نجعل هذا الأمر في عدة نقاط :-

١- إن هناك أختلافاً كبيراً بين الأسس الفكرية التي تنهض علي أساسها الحركتان ، فبينما دعت الختمية إلي العودة إلي الإسلام عن طريق تربية المريدين والأتباع تربية روحية علي غرار الصوفية ، بشكل سلمي يبتعد كثيراً عن العمل السياسي المنظم ، نجد أن المهدي رفع شعار العودة إلي الإسلام عن طريق الاستيلاء علي السلطة وبناء الدولة وأقامتها عبر الجهاد بالسيف ومجابهة الظلم وعسف الحكام.

---

(٩) نفسه : نفس الصفحة

(١٠) نفسه : تحقيق (الابانة النورية) ص ٢٢ ، ٢٣

(١١) نعوم شقير : مصدر سابق ص ٣١٨

(١٢) محمد إبراهيم ابوسليم : تحقيق الابانة النورية ص ٢٣

(١٣) الناصر ابوكروق : مصدر سابق ص ٤٨

٢- هناك خلاف بين الطرفين في فهم لفظة (مهدي) فالختمية يرون أن المهدية مرتبطة بالختمية فالمهدي بعد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثم يليه مباشرة الختم ونلحظ الخلاف بين الفكرتين فالمهدي عند المهديين يعني شيئاً آخراً علي الرغم من أن المهدي أستقي مباديء فكرته من ذات المصدر الذي أعتمد عليه الختمية في بناء نظريتهم عن المهدي والذي ربطوه بطريقتهم .

٣- وفقا لما جاء في كلام الختمية عن المهدي ، فهم يعتقدون أن محمد أحمد المهدي ليس مهدياً حقيقياً ، ويعتقدون أن حركته فتنة يجب أن تطفأ وهي حركة مارقة عن سلطان الدولة المسلمة خارجة عن طاعة والي وأمير المؤمنين .

لذلك فإننا نعتبر أن الختمية عارضوا الدولة المهدية لأسباب مبدئية وعقائدية ، وروجوا لاستقطاب الرأي الرافض للفكرة المهدية بناءاً علي أعتقادات خاصة لديهم بأن الدين الإسلامي يرفض أدعاء محمد أحمد للمهدية (١٤) .

نتج عن هذا الموقف المضاد لتيار المهدية وجود صدام مسلح بين الختمية والأنصار ، ولكن قبل نشوء القتال بين الطرفين كان المهدي قد أرسل عدة خطابات إلي قيادة الختمية ، وقد بدأ أرسال هذه الخطابات أول مابدأ في سنكات وذلك عندما حمل عثمان دقنة خطابات المهدي للختمية ولكنهم رفضوا دعوة المهدي ورفضوا مبايعة عثمان دقنة وسلموا منشورات المهدي للحكومة التربية ، يقول عثمان دقنة في مذكراته (ثم بعد توجهما - يعني أثنين من أنصاره هما أونور وطه حملهما هذه الخطابات من عندنا فرقا المكاتيب إلي أربابها وخصوصاً الخلفاء الختمية ورؤساؤهم الخليفة الصافي والخليفة عبدالله فدخلا عليهم أعني المأمورية وأعطوهم كتبهم ونصحوهم في الله غاية النصح وهناك إذ ذلك شيخهم محمد عثمان بن سر الختم الميرغني فاتوا إليه مستشيرين له فيما يفعلونه وعرضوا عليه جوابات السيادة فعند ذلك أن أمرهم أن يسلموا الجوابات إلي التركي الذي في المامورية قائلا لهم : لا شيء يخلصكم من الحكومة غير تسليم الجوابات لهم والتبري منها واعلامكم انكم لستم بصدد هذا الأمر ففعلوا ذلك) (١٥).

لقد أراد المهدي أن يكسب زعماء الطريقة الختمية ويستميلهم إلي تأييده ونصرته لمعرفته التام لحجم هؤلاء وسعة نفوذهم بين العربان وزعماء العشائر وأرسل المهدي مجموعة خطابات إلي كسلا

---

(١٤) الناصر أبوكروق : مصدر سابق ص ٥٦ ، ٥٧

(١٥) عثمان دقنة: مذكرات عثمان دقنة تحقيق محمد إبراهيم ابوسليم ط، أولي (الخرطوم: دار التاليف الترجمة والنشر ١٩٧٤) ص ٣٦ ، ٤٠ الطابعون دار الطباعة جامعة الخرطوم

موجة الي السيد محمد عثمان بن السيد محمد سرالختم والي السيد البكري ابن عم محمد عثمان ثم أرسل خطابات بتواريخ مختلفة من بينها خطاب بتاريخ محرم ١٣٠١هـ ، وهو مرسل للسيد أبوبكر بن جعفر الميرغني وهناك خطاب ايضا مرسل في ١٤ صفر ١٣٠١هـ للسيد محمد عثمان يذكره فيه أنه خاطبه بخطابات وانذارات وأنه لم يتلق منه رد وقد خبره في ذلك الخطاب بين أمرين أولاهما الهجرة إليه أو الانضمام للطاهر المجذوب وعثمان دقنة والجهاد معهما (١٦).

وكان المهدي دائما يوضح لمحمد عثمان أنه يهتم به ويظن أنه عارف بمثل هذه الأمور الدينية ولايحتاج إلي تذكير أو تنبيه فليس هو بالغافل عن أمر كهذا يقول المهدي في خطاب له (فلا يخفي عليك أننا قد اعتنينا بك كثيرا وخاطبناك خطاب أهل المحبة غير مرة ، وعرفناك بعظيم منزلتك عندنا ورغبنا منك الإجابة لداعي الله ، وماكان ظننا فيك وفي فطانتك أن تتهاون بنفسك قدر هكذا وتتوقف مثل هذا التوقف وعساك ياحبيب أن تكون معذورا فالمؤمن يلتمس المعاذير لأخيه علي أن تهاونك في هذا المقام غير لائق بك لأنك من الكرام المظنون فيهم أنهم لايرون الدنيا شيئا (١٧).

ويعتقد أن المهدي لديه عدة دوافع جعلته يلح بصورة متواصلة في ارسال الرسل والخطابات لقيادة الختمية ، وأول هذه الدوافع هو ما ذهبنا إليه من أن المهدي كان يهمه كسب ثقة وتأييد رجال الطرق الصوفية لأنه يظن أنهم حلفاؤه الطبيعيون في دعوته تلك ، وأن انضمامهم إليه ضمين بتقوية حجته وبتشجيعه علي المضي قدما في بناء دولته ، ولما كان الختمية من أقوي الجماعات الصوفية فقد كان لزاما عليه أن يسارع إلي كسب تأييدهم ويطلب نصرتهم بكل ما أوتي من جهد ، وثاني تلك الدوافع قد يكون رغبة المهدي في كسب شخصية ذات نفوذ ديني مرموق في المنطقة حتي يجمع شتات القبائل المتفرقة المتنافرة هناك تحت قياده، ولقد وجد المهدي زعامة المجاذيب وكسبهم ولكن تلك الزعامة لم يكن لها نفوذ في كسلا . وربما أحس أن داعيته عثمان دقنة لم يكون محبوباً من أتباع المهدي ولذلك كان لابد من شخصية لها نفوذ عميق في المنطقة تدين لها كافة القبائل ، وهذه الشخصية لاتقتصر أهميتها علي محاربة الترك فحسب وإنما حمل الثورة فيما بعد الي بلاد الحبشة خاصة أن منطقة كسلا تمثل المفتاح الطبيعي لتلك الجهات بعامل القرب الجغرافي ، وثالث الدوافع ربما كان رغبته في حسم الصراع في هذه المنطقة لصالحه فلو أنضم الختمية بثقلهم الجماهيري

---

(١٦) الناصر أبوكروق : مصدر سابق ص ٥٠ ، ٥١

(١٧) المهدي ، الأمام : منشورات ص ٢٩٤ ، ٢٩٥

إليه لرجحت كفته وأنتهي أمر الحكومة التركية هناك (١٨).

ولقد ظل المهدي يراسل الختمية حتي بعد أن هاجر السيد محمد عثمان الي مصر إذ أرسل إليه مع الحسين الزهراء في شعبان ١٣٠٢هـ (١٩) لقد تطور النزاع بين الختمية والانصار من مرحلة القول إلي العمل فنشب صراع دامي بين جيوش المهدية التي دفعها المهدي لفتح الشرق وبين رجال الطريقة الختمية ، ولقد أقدم الأنصار علي هدم قبة السيد الحسن في كسلا عندما تفاقمت الأوضاع بين الطائفتين (٢٠).

ولقد شهد النصف الأخير من حكم الدولة المهدية أحتدام الصراع بين المهدية والختمية وذلك بسبب مساندة الختمية لحامية كسلا من ما مكنها من الصمود عدة شهور في وجه قوات المهدي (٢١) ، ولقد دارت عدة معارك بين الختمية وأنصار المهدي من بينها واقعة تنبكياي في ١٩ يونيه ١٨٨٤م ، فلقد هاجم محمد حامد إبراهيم ابن أخ ناظر الهدندوة القافلة التي أرسلها السيد محمد عثمان لابن عمه في الختمية وقتل من فيها وغـــنم ما فيها ، فأرسل السيد البكري من قتل محمد حامد وأخر معه (٢٢) .

كذلك هناك واقعة الفقيه عيسي والتي دارت بين الفقيه عيسي وبين محمد عثمان (٢٣) ولكن أزداد الضغط والحصار علي حامية كسلا مما دفع قائدها إلي طلب العون من مصر ، فلما تم ذلك قرر محمد عثمان الخروج من كسلا خشية أن يقع في الأسر وتساء معاملته فغادرها في ٦ رمضان ١٣٠١هـ قاصداً مصر عن طريق مصوع وقد أقام بمصر بضعة أيام ثم توفي في يوم السبت ١٠ ربيع الثاني ١٣٠٣هـ الموافق ١٧ يناير ١٨٨٦م (٢٤) ، وتولي الختمية بعد ذهابه ابن عمه السيد البكري ابن السيد جعفر الميرغني ولم يبق معه إلا أخلاط من الدناقلة والجعليين والحلانقة والبجة فبني سوراً حول الختمية وأتمه في أقل من شهر (٢٥) ثم وقعت وقائع أخري بين الطرفين ، ولقد ظل السيد البكري في كسلا إلي أن سقطت في ١٨ رجب ١٣٠٢هـ الموافق مايو ١٨٨٥م حيث غادر إلي مصوع فسواكن فمكة مات فيها عام ١٣٠٤هـ (٢٦).

ورغم سقوط حي الختمية قاعدة الطريقة فقد أستمرت مقاومة الختمية للأنصار بشرق السودان وقد تولي تلك المقاومة السيد/ عثمان تاج السر وقد أتخذ مدينة سواكن مركزاً لنشاطه (٢٧) ،

---

(١٨) الناصر ابوكروق : مصدر سابق ص ٥٢، ٥٣

(١٩) نفسه : ص ٥٣

(٢٠) علي صالح كرار (دكتور) : الطريقة الإدريسية في السودان ص ٨٧

(٢١) نعوم شقير : مصدر سابق ص ٩٠٦

(٢٢) محمد سليمان صالح ضرار : أمير الشرق ط أولي (الخرطوم الدار السودانية للكتب)

(٢٣) نعوم شقير : مصدر سابق ص ٩٠٨

(٢٤) نعوم شقير : مصدر سابق ص ٩٠٥

(٢٥) نفسه : ص ٩٠٩ ، ٩١٠

(٢٦) نفسه : ص ٩١٣

(٢٧) John Voll : Ahistory of Katmiyyaha tariga in The Sudan P. 284

بالاضافة إلي شرق السودان فلقد نشط أهل البيت الميرغني في الدعاية ضد المهدية في منطقة شندي فلقد تحرك نسوة من بيت محمد عثمان بتأليب الجعليين والشايقية علي المهدية (٢٨) ، ولقد أتصلت حركة المعارضة حتي نهاية الدولة المهدية حين عاد السيدان أحمد وعلي الميرغني لمواصلة النشاط الديني من جديد (٢٩).

الختمية والطريقة المجذوبية :

المجذوبية طريقةذات جذور سودانية وهي متفرعة عن القادرية والشاذلية ، وأتباعها يتركزون في الدامر ، وماحولها ثم إلي الشرق في أتجاه نهر عطبرة حتي البحر الأحمر (٣٠).

ولقد نهض بتجديدها السيد محمد المجذوب الصغير (١٧٩٦ – ١٨٣٢) أحد تلامذة السيد أحمد بن ادريس ، ولد محمد المجذوب ونشأ بالمتمة ثم أنتقل الي الدامر موطن ابائه فحفظ القرآن وأخذ الطريقة الشاذلية علي الفقيه قمر الدين ثم عاد إلي المتمة مرة ثانية ، وفي ذلك الوقت ألتقي بالسيد محمد عثمان الميرغني الذي كان ماراً علي منطقة المتمـــة ومنذ أخذ السيد المجذوب تعاليم المدرسة الإدريسية (٣١)

تعرض المجاذيب لسخط ونقمة حملة الدفتردار الانتقامية جراء مشاركاتهم في مقاومة المد الإستعماري من قبل جيوش محمد علي اذ وقفوا في وجه إسماعيل باشا وقواته الغازية ، ثم عملوا في سبيل الثورة علي الإدارة المصرية بعد مقتل إسماعيل علي يد الملك نمر ، ولقد هدمت قبة الشيخ المجذوب وهرب قادة المجاذيب إلي الشرق ، حيث انتشرت طريقتهم هناك واتخذوا خطاً معارضاً للحكومة ، وفي هذه الاثناء كان الشيخ / محمد المجذوب الصغير في الأراضي الحجازية والتي قصدها برفقة السيد محمد عثمان الميرغني الختم إلا أنهما وفي مرحلة من مراحل سيرهما معا أفترقا فاتجه السيد/ محمد عثمان إلي مكة ، وأتجه الشيـــخ المجذوب إلي المدينة وأستـــقر بها (٣٢).

ويبدو أن المجذوب كان علي قدر كبير من العلم ولم يكن رجلاً عادياً في صفاته وسلوكه ، والشيء الذي جعل ابن إدريس يقربه ويدنيه منه ويثني عليه دائماً ، وكان يتبسط معه ، وتنطلق أساريره بشرا وفرحاً حينما يجيء اليه المجذوب وينصرف عن الذكر الي محادثته وملاطفته (٣٣) بل والي أبعد من

---

(٢٨) محمدمحجوب مالك : مصدر سابق ص ١٤٩

(٢٩) علي صالح كرار (دكتور) : مصدر سابق ص ٩٥

(٣٠) ابوسليم : مصدر سابق ص ١٦٦

(٣١) علي صالح كرار (دكتور): مصدر سابق ص ٥٣

(٣٢) ابوسليم : مصدر سابق ص ١٦٧

(٣٣) علي صالح كرار (دكتور): مصدر سابق ص ٥٤

ذلك فلقد قال عنه ابن إدريس علي حد رواية السيد إبراهيم الرشيد (لو يعلم الناس مافي المجنوب لتركوا جميع الصالحين القريب والبعيد وأتوا إلي بابه لما له من الكرامة والمنزلة عند الله). وقد عاد محمد المجنوب الصغير إلي السودان في عام ١٨٣٠م (٣٤).

وأقام في سواكن مدة من الزمن ، ثم أتجه بعدها الي الدامر حيث توفي بها ، ولم يكن له ابناء لذلك فقد خلفه الطاهر المجنوب وهو الذى قاد المجاذيب إلي الحلف مع المهدية ، وقد توفي في أوائل فترة المهدية ، وعاون ابنه محمد المجنوب وقريبه المجنوب أبوبكر عثمان دقنة في إدارة الشرق لصالح المهدية (٣٥).

لقد وقف المجاذيب في صف المهدية وحمل عثمان دقنة خطابات من المهدي موجهة إلي عدد من قبائل وعشائر شرق السودان ومشائخهم والي كافة المجاذيب وعلي رأسهم الشيخ الطاهر المجنوب (٣٦) الذي أمن بالمهدي وتلقي خطاباته بالقبول والترحيب وأظهر الاستبشار والفرح بكتابات المهدي إليه (٣٧).

وبهذا وقفت الطريقة المجنوبية مع الأنصار في خندق واحد ، ورفعوا شعار الدفاع عن الثورة المهدية في شرق السودان ، وقانوا حملتهم الضاربة علي المناوئين لتيار المهدية ، ولقد أكسب المجاذيب المهدية قوة فائقة وكانوا رسلها وحماتها في شرق السودان ، وتولد موقفهم هذا نتيجة للعداء القديم بينهم وبين الإدارة المصرية ، وكانت بينهم وبين الختمية عداوة لشعورهم الدائم أنها تلقي السند والتأييد من السلطات المصرية ، فهم يحقدون علي الحكومة وعلي من يظهر نوعاً من التعاون او ضرباً من الولاء للحكومة وليس لرجل مثل عثمان دقنة وجميع أفراد أسرته ،المعروفة بأسرة الدقناي ، أن يرضوا عن حكومة قادته هو وأخوانه الي الإفلاس (٣٨) ، فلقد تعرض عثمان دقنة واخواه عمر وعلي ، إلي السجن ومصادرة ممتلكاتهم وتصفية أعمالهم لإتهامهم بالعمل في تجارة الرقيق التي كانت تدر عليهم أرباحاً طائلة من ورائها ، وكان القبض علي عثمان دقنة في العام ١٨٧٧م بالقرب ن شيخ برغوث ويحوزته عدد من الرقيق المصدر للجزيرة العربية ولقد أثر هذا الحادث في نفوس أفراد هذه الأسرة (٣٩)التي ظلت تضمر للحكومة الحقد والكراهية إلي حين تفجر الثورة المهدية ، التي ضمت في صفوفها أعدادا كبيرة من الذين تعرضوا لمظالم شخصية نتيجة لعسف وتسلط حكومة التركية السابقة..

---

(٣٤) نفسه: نفس الصفحة

(٣٥) ابوسليم : مصدر سابق ص ١٦٨

(٣٦) ابوسليم : تحقيق مذكرات عثمان دقنة ص ٣٧

(٣٧) نفسه : ص ٤١

(٣٨) مع هذا فقد كان عثمان دقنة مؤمناً ايماناً قاطعاً بالمهدية ولم يعاونها لمجرد انه كاره للتركية (أنظر: أبوسليم : تحقيق مذكرات عثماندقنة ص ٨)

(٣٩) ابوسليم : تحقيق مذكرات عثمان دقنة ص ٧

يري الدكتور محمد ابراهيم ابوسليم (٤٠) أن أسباب النزاعات بين الختمية والمجاذيب واضحة، فالبيت الميرغني بما أمتلك من أمكانات علمية وتاريخية ، ومقدرات ترجع الي الذين نشروا وأرسوا طريقة هذا البيت ، أستطاع أن يحصل علي الجزء الأوفر من ولاء السودانيين ، بل غيرت عدد من الأسر السودانية المعروفة طرائقها القديمة لتدخل في سلك الطريقة الختمية الوافدة ، لقد كان المراغنة من الأشراف الذين يحترمهم الناس ويحبونهم ، ويعتقدون في بركتهم وصلاحهم ، بينما كانت أسرة المجاذيب أسرة سودانية ، وعلي الرغم من مكانتها في قلوب السودانيين إلا أن موقف المراغنة الأشراف أقوي منهم. ولم يعتمد المراغنة علي شرفهم فقط بل وسعوا في دائرة الولاء لهم والإنتماء الي طريقتهم عن طريق الإصهار والتزاوج من بعض البيوت علي إمتداد السودان ، ثم أن هناك خصومة وقعت بين محمد عثمان والمجذوب في زمن سابق كذلك تزايد نشاط الختمية في مناطق نفوذ المجاذيب وكسبهم المتنامي لأعداد كبيرة من أتباع الطريقة المجذوبية ، وأخيراً علاقة الختمية الوثيقة وصلتهم بالحكم التركي المصري كل ذلك أوجد نوعاً من الجفوة والخلاف بين الختمية والمجاذيب .

(٤٠) ابوسليم : بحوث في تاريخ السودان ص ١٦٨

الفصل الثالث

الختمية والحكم الثنائي الي الاستقلال:

المبحث الأول : الختمية والحكم الثنائي

المبحث الثاني : الختمية وقيام الأحزاب السياسية وتطورها

المبحث الأول

الختمية والحكم الثنائي

سجلت معركة أم دبيكرات في ٢٤ نوفمبر ١٨٩٩ نهاية الفصل الأخير في سقوط حكم الدولة المهدية ، وكانت النهاية الحقيقية قد تمت بسقوط أم درمان مقر الحكم ، قبل ذلك التاريخ بنحو خمسة عشر شهراً في ٢ سبتمبر ١٨٩٨م ومنذ ذلك التاريخ أضحي السودان خاضعاً لسيطرة الحكم الأجنبي (١) لقد وقعت الحكومتان الفاتحتان أتفاقية الحكم الثنائي التي أصبحت الدستور الحاكم في السودان .

لقد وضحنا في الفصل السابق أن الخلافات بين الختمية وحكومة المهدية بلغت طوراً متأخراً من حيث السوء مما دفع السيد محمد عثمان (الأقرب) الي مغادرة قرية الختمية بشرق السودان إلي مصر حيث توفي هناك بعد وصوله بثلاثة أيام ودفن بباب الوزير ، وخلف وراءه السيد البكري ليتولي المقاومة ، ولقد بقي السيد البكري في كسلا ودافع عنها إلا أنه في النهاية خسر المعركة وسقطت المدينة في يد الأنصار ، وأصيب السيد البكري بجرح بليغ فرحل إلي سواكن بمعاونة العربان ، ولم يمض وقت طويل حتي توفي في مكة المكرمة ، أما أبناؤه السيد جعفر والسيد الحسن والسيدة عائشة فقد أخذهم الأنصار إلي أم درمان فأقاموا بها حتي نهاية المهدية ، وكانت معهم والدتهم السيدة فاطمة الأولي بنت السيد محمد الحسن (٢).

لقد شجعت الحكومة المصرية سفر أسرة محمد عثمان إلي مصر وأهتمت بتيسير سبل العيش لهم ، فلقد كانت المخابرات تعتقد أنه من الضرري جدا الاهتمام بالسيد علي والأشراف علي تربيته ، جاء في مذكرة رسمية قدمها هولد اسميث مدير البحر الأحمر (١٨٨٨الي ١٨٩٢) إلي السردادر حول تربية السيد علي أن تعليمه حسن إلا أنه محاط بعدد من الخلفاء الذين يخشي منهم ومن تأثيرهم السيىء عليه وبعد أن اقترح سميث أبعاده عنهم أختتم مذكرته بقوله (أن الطريقة الختميةمايزال لها نفوذ قوي في السودان ومن المتوقع أن يصير هذا الصبي في المستقبل ذا فائدة للحكومة) (٣) .

---

(١) أحمد محمد شاموق : من هوامش الثورة والسياسة (بيروت دار العربية للطباعة) ص ٩ طبع بمطابع معتوق اخوان (اغفلت تاريخ الطبع)

(٢) محمد إبراهيم ابوسليم : السيد علي الميرغني وقيادة الختمية في بحوث في تاريخ السودان ط أولي(بيروت : دار الجيل ١٩٩٢) ص ١٦٣ الي ١٦٥

(٣) نفسه: صفحات ١٦٣ ، ١٦٤

بقيت الأسرة في سواكن بسافر السيد علي وحده إلي مصر ، ولقد ظل السيد علي في القاهرة نحو خمس سنين كان يتلقي فيها العلم و ويجاور الأزهر الشريف ويرتاده ويختلف إلي دار الكتب ، ويري بعضهم أنه قد نال شهادة رسمية من الأزهر وهي شهادة العالمية (٤) ، إلا أنه فيما يبدو وكما ذكر أبوسليم لم يتلق تعليما منظما (٥) ، عاد السيد علي إلي سواكن وكانت الحركة المهدية قد أنحسر مدها في الشرق بعد سقوط طوكر في ١٨٩١م ، واستيلاء الايطاليين علي كسلا في عام ١٨٩٦م ولقد أفسح ذلك المجال أمام الختمية ليستردوا نفوذهم ويستعيدوا مكانتهم في تلك المنطقة ، ولقد استقبلته القبائل هناك بحفاوة بالغة ، وبعد سقوط الخرطوم أرتحل السيد أحمد والسيد جعفر والسيد الحسن ومعهم السيدة فاطمة إلي كسلا التي أضحت رسميا للسيد أحمد أما السيد علي فلقد أنتقل الي الخرطوم في عام ١٩٠١م(٦).

أراد بعضهم أن يصور عودة السيد علي السودان كانت مع الجيش الغازي ، لقد أورد الدكتور جلي رأيا لعبد الاجد أبوحسبو تناوله في مذكراته يقول فيه إن السيد علي الميرغني كان هو رجل الدين الذي أختارته الحملة الفاتحة ليصحبها في رحلتها تستعين به في تنفيذ سياسة الغزاة ومخططاتهم (٧) ويظن الدكتور ابوسليم أن هذا مناقض للتاريخ وهو مما نشره خصومة للنيل منه ، فالسيد علي لم يعمل في الحكومة المصرية بأي صفة ، وكان عند الفتح بشرق السودان (٨) ويري محمد حامد خير في كتابه عن الختمية أن فرية دخول السيد علي الي السودان بصحبة الإنجليز هي من أختراع جنود كتشنر أنفسهم وذلك لأنهم كانوا يريدون كسب عطف القبائل في طول البلاد وعرضها (٩) .

بسعت سلطة الحكم الثنائي في السودان إلي إيجاد حلفاء لها من بين الزعماء الدينيين (١٠)وعمدت في أوائل حكمها إلي إظهار حرصها علي الدين الإسلامي وعدم رفضها لمبدأ احتكام السودانيين الي شرعهم الحنيف وتجلي ذلك من خلال خطاب كرومر الذي وجهه الي الأمة السودانية في ٤ يناير ١٨٩٩م ، والذي واجه فيه أستفساراً من أحد المشايخ للمستمعين اذا كانت أحكام الشريعة الإسلامية ستكون محترمة ونافذة المفعول في البلاد ، ولقد رد اللورد كرومر علي هذا السؤال بالإيجاب (١١) ، وكان من ضمن ماقاله (ولقد صدرت لي أوامر خصوصية من صاحبة الجلالة

(٤) محمد أحمد حامد محمد خير : الختمية العقيدة والمنهج والتاريخ ص ٥٥
(٥) ابوسليم : مصدر سابق ص ١٦٥
(٦) نفسه : نفس الصفحة
(٧) أحمد محمد أحمد جلي (دكتور) : مصدر سابق ص ٢٦ ، ٢٧
(٨) ابوسليم: مصدر سابق ص ١٦٥
(٩) محمد أحمد حامد محمد خير : مصدر سابق ص ٥٨
(١٠) خالد حسين الكد : الأفندية ومفهوم القومية في الثلاثين سنة التي أعقبت الفتح في السودان ١٨٩٨ – ١٩٢٨م – مجلة الدراسات السودانية يصدرها معهد الدراسات الإفريقية و الاسيوية بجامعة الخرطوم المجلد الثاني عشر العدد الأول ابريل ١٩٩٢م ص ٦٦
(١١) محمد فؤاد شكري (دكتور) : مصر والسودان تاريخ وحدة النيل السياسية في القرن التاسع عشر ١٨٢٠م ١٨٩٩م ط ثانية (دار المعارف بمصر ١٩٥٨) ص ٥٦٨

مليكتي العظمي التي تحكم في غير هذه البلاد علي ملايين من المتدينين بدينكم الشريف لأعرب لكم عن مزيد أهتمام جلالتها بكل مايؤول الي سعادتكم وإني الآن باسم جلالتها سأقلد فرداً من أشرف أهالي السودان المسلمين وساما انجليزيا نظراً الي ما عرضه عنه سعادة الحاكم العام لجلالتها وهو السيد علي الميرغني)(١٢) وكان كتشنرقد أذاع قبل خطاب كرومر هذا وفى العام ١٨٩٦م منشوراً بانه أتي لكي يخفف أوجاع المسلمين وليشيد دولة اسلامية تقوم علي العدل والحق ، ولكي يشيد الجوامع ويساعد علي نشر الاعتقاد الصحيح (١٣).

أتجه المراغنة بعد الفتح إلي اعادة بناء طائفتهم بعد الذي أصابها في حكم المهدية ولقد وجدوا أعظم العون من جانب الحكومة ، التي أقامت حلفاً قوياً لها مع الختمية ، ولقد تمكن الختمية نتيجة لهذا التأييد الكبير من السلطات الحاكمة من استعادة مكانتهم حتي غدت طريقتهم أقوي مما كانت عليه وأعظم ، وقد أسهم في تقوية الطريقة وزيادة عدد أفرادها كذلك بسلسلة المصاهرات التي تمت بين البيت الميرغني وبين الهواره والخوجلاب والمريوماب والإنقرياب ، إضافة إلي أن الناس كانت في أذهانهم الحوادث التي جرت في المهدية ، وما لحق الناس من ظلم وعنت في فترة حكم المهدية (١٤) ، مما نفر الناس منها ودفعهم إلي بغضها وقبول أي حكم آخر بديلا لها ، أما المراغنة فكانوا يرون أن أية تغيير للحكم سيكون ضدهم وسيسهل عودة المهدية ، ولقد أستمر تعاون السيد علي زعيم الختمية مع الحكومة حتي ١٩٤٠م وكان طيلة هذه الفترة مقدماً علي كل السودانيين وكان رجل السودان الأول (١٥) ولكي نتعرف إلي نظر الإنجليز له نقرأ ماكتبه (ونجت) عام ١٩١٢م متوجها بكتابته هذه الي السيد علي قائلا : (إن أسرة الميرغني تعيش في أماكن متعددة ومن ثم فهي تخضع لسلطات الإدارة الحكومية المحلية التي تعيش فيها ولكن ليس لدي أي ريب أنهم جميعاً ومثل الحكومة تماماً ينظرون إليك كرئيس لهم وزعيم) (١٦).

قام المراغنة بتوزيع النفوذ فيما بينهم علي أساس إقليمي فأصبح شرق السودانيين كسلا والقلابات بما فيها البطانة تحت رعاية السيد أحمد الميرغني ومنطقة جبال البحر الأحمر وخور بركة والساحل حتي حدود مصر تحت رعاية السيدة مريم الميرغنية ، وتركت رعاية الختمية داخل ارتريا لرعاية السيدة علوية والسيد جعفر البكري ،أما وسط السودان كله حتي كردفان ، وشماله وجنوبه

---

(١٢) مكي شبيكة (دكتور) :السودان عبر القرون ص ٤٨١

(١٣) جعفر محمد علي بخيت (دكتور) : الإدارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان ١٩١٩-١٩٣٩م ، نقله الي العربية هنري رياض ، ط أولي دار الثقافة بيروت ومكتبة خليفة عطية الخرطوم ١٩٧٢م ص ٣١ ، ٣٢

(١٤)محمد إبراهيم ابوسليم : مصدر سابق ص ١٦٦

(١٥) نفسه : صفحات ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٣

(١٦) Gabriel Worburg : The Sudan Under Wingate P. 99

حتي أعالي النيل الأبيض وأعالي النيل الأزرق فإنها مناطق نفوذ السيد علي الميرغني ولقد أعتبر السيد علي الزعيم الأكبر للطائفة (١٧).

في الواقع أن التعاون بين الحكومة والطوائف الدينية لم يقتصر علي الختمية وحدهم خاصة بعد مضي فترة علي تسلم الإدارة الجديدة سلطاتها وضربها بقوة علي يد الخارجين الذين قادوا ثورات صغيرة ضد المستعمرين ، لقد ساند الزعماء الدينيون الحكام الإنجليز في كثير من المواقف ، فلقد أنكروا علي تركيا موقفها حيال بريطانيا ودخولها في تحالف عسكري مع المانيا والزعماء الدينيون يقفون هذا الموقف دعما لتحركات بريطانيا، ولقد دفعهم هذا التأييد الي التوقيع علي سفر الولاء أمام السير (ونجت) (١٨).

وبعد إنتهاء الحرب العالمية الأولي في شتاء عام ١٩١٩م بإنتصار الحلفاء وانهيار الدولة العثمانية ، سافر وفد من زعماء السودان لزيارة لندن لتهنئة الملك بالنصر في الحرب وكان علي رأس الوفد السيد علي وفي عضويته السيد عبدالرحمن المهدي (١٩) ولقد قدم السيد عبدالرحمن سيف والده الأمام المهدي إلي الملك تعبيرا عن ولائه ولقد كان رد الملك علي ذلك قوله (إني أقبل هذا السيف واعترف بالولاء الصادق الذي حملك لتقديم الهدية ، وإني كدليل لولائك تجاهي أستلمه وأرده إليك ولورثتك) (٢٠).

قام السادة عبدالرحمن المهدي وعلي الميرغني ويوسف الهندي بعد ذلك باصدار جريدة الحضارة وكان حسين شريف ابن اخت السيد عبدالرحمن رئيس تحريرها (٢١) ولكنها خضعت بعد ذلك لسيطرة الحكومة مالياً وأدبياً .

لقد قام السيد علي الميرغني زعيم طائفة الختمية بتقديم خدمات جليلة لصالح الحكومة ، فمن الأدوار البارزة التي لعبها أتصاله بالسلطان علي دينار ناصحاً إياه بعدم الخروج علي الحاكم العام وموضحاً له ان الحكومة لا تبيت له الشر ، ودعاه الي سحب جيشه الذي كان يهدد الحدود الغربية ، وقد نجح مسعاه هذا وقد تم كل ذلك بإيعاز من المخابرات كذلك لعب السيد علي دوراً مماثلاً عندما أتصل بالشريف حسين بن علي شريف مكة بتدبير المخابرات وأصلح بينه وبين الأدارسة (٢٢).

ولما جاءت ثورة ١٩١٩م المصرية وقف السيد علي وسائر الزعماء السودانيين ضد تيارها ،

---

(١٧) أحمد محمد أحمد جلي (دكتور): مصدر سابق ص٢٩

(١٨) عثمان سيدحمد اسماعيل (دكتور) : الختمية والأنصار (الخرطوم : الشركة السودانية للتوزيع)ص ٢٨ طبع بمطابع التمدن (أغفلت تاريخ الطبع)

(١٩) عبدالرحمن المهدي: جهاد في سبيل الاستقلال أشرف علي إعداده الصادق المهدي طبع بمطابع المطبعة الحكومية ص ٢٣ (بدون تاريخ).

(٢٠) بشير محمد سعيد : خبايا وأسرار في السياسة السودانية ٥٢ – ١٩٥٦ط أولي (الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٩٣م) ص ٥٢ ، ٥٣ طبع بمطبعة جامعة الخرطوم

(٢١) عبدالرحمن المهدي : مصدر سابق ص ٢٦

(٢٢) محمد ابوسليم : مصدر سابق ص ١٨١، ١٨٢

وأعلنوا أنهم مدينون للإدارة الإنجليزية ولخدماتها العظيمة في التعمير وأنهم لاعلاقة لهم بما يجري في مصر وهم علي ولاءهم لانجلترا(٢٣).

وفي ثورة ١٩٢٤م في السودان ساند السيد علي الحكومة ولم يؤيد الثوار (٢٤) ، ويري الدكتور ابوسليم أن الجيل الذي شاهد المهدية وتلمس أهوالها وأكتوي بظلمها كان ضد أي تغيير في الوضع لأن التغيير ربما يكون في صالح الأنصار ، أو تعود الإدارة التركية البغيضة وكانوا يظنون أن الإدارة الإنجليزية تقدم يد العون للسودانيين علي طريق التقدم والرقي ، لذلك فإن مساندتهم للإنجليز لها مبرراتها ومسوغاتها ، وبعد مضي الوقت ومع ازدياد حركة التعليم ونمو نفوذ المثقفين أصبح الاتجاه نحو الاستقلال ورفض الاستعمار هو الأقرب الي النفوس (٢٥)

---

(٢٣) نفسه : ص ١٨٢

(٢٤) نفسه : مصدر سابق ص ١٨٣

(٢٥) نفسه : نفس الصفحة

المبحث الثاني
الختمية وقيام الأحزاب السياسية وتطورها

أولا : مؤتمر الخريجين :

عقب معاهدة عام ١٩٣٦م ، وفي ١٩٣٧م في شهر أكتوبر ظهر أتجاه لدي خريجي ودمدني بتكوين جمعية أدبية ثقافية فأجتمع الأعضاء وأختيرت لجنة أسندت رئاستها الشيخ مدثر البوشي الذي أفتتح أعمال هذه الجمعية بمحاضرة عامة (١) ، وتلقف شيخ أندية الخريجين بأم درمان الدعوة وبشر اعضاؤه بهذه الفكرة ، وكتب للمؤتمرين من الخريجين أن يلتقوا في ١٢فبراير ١٩٣٨م واكتظ بهم فناء نادي الخريجين العام وأنتخبوا لقيادته لجنة من ستين عضوا ، وأختير إسماعيل الأزهري أمينا عاماً للمؤتمر في دورته الأولي (٢).

ويبدو لنا في هذه الفترة مدي أهتمام الإنجليز بالخريجين بالنظر إلي الوفد السوداني الذي شكلته الحكومة لحضور حفل التتويج الملكي في بريطانيا في العام ١٩٣٨م ، فلقد شكل أساساً من الشباب والموظفين ومندوبين عن المتعلمين بالاضافة الي السيد محمد عثمان ابن شقيق السيد علي والسيد الصديق عبدالرحمن المهدي (٣).

وهناك من يزعم أن فكرة قيام المؤتمر كانت أصلاً من وحي مكتب مخابرات الإدارة البريطانية في الخرطوم والذي كان يهدف إلي خلق تنظيم يكون بمثابة الترياق المضاد للتدخل المصري في السودان والذي أطل بوجهه من جديد بعد أبرام أتفاقية ١٩٣٦(٤) ، ولاشك أن هذا الرأي جنح الي المبالغة والغلو فالفكرة ليست من بنات أفكار المستعمين كما أن المؤتمر لم يكن في أي من سني حياته مطية للإدارة الإستعمارية وإنما كان نبتاً طبيعياً أفرزته تطلعات أبناء السودان الوطنية (٥).

شعر المصريون بعد زيارة رئيس الوزراء المصري للسودان أن المؤتمر لم يكن صنيعة لبريطانيا ومنذ ذلك الوقت تغير موقف مصر الرسمي نحو المؤتمر ، وبعد قيام الحرب العالمية رأي المؤتمر أن اشتراك السودان في الحرب بجانب الحلفاء لابد له من ثمن وهو أن يمنح السودان أستقلاله فبعث بمذكرة الي الحاكم العام في ابريل ١٩٤٢م مطالباً الحكومة باعطاء السودانيين حق تقرير المصير

---

(١) مدثر علي البوشي : البعث الوطني وروافد الزحف (الخرطوم : دار الفكر الحديث) (اغفلت تاريخ الطبع) صفحات ٤٣ ، ٤٤

(٢) أحمد سليمان : ومشيناها خطي – صفحات من ذكريات شيوعي أهتدي – الجزء الثاني الطبعة الأولي (الخرطوم : دار الفكر ١٩٨٦م) ص ١٠٧

(٣) جعفر محمد علي بخيت (دكتور): مصدر سابق ص ٢٨٨

(٤) أحمد سليمان : مصدر سابق ص ١٠٧

(٥) نفسه : ص ١٠٩

وعدد من المطالب السياسية الأخري ، ولقد رفض السكرتير الإداري نيابة عن الحاكم العام فحوي هذه المذكرة وردها إلي أصحابها (٦).

أثر رد الحكومة هذا علي كيان المؤتمر فشطره شطرين فأطلق الفريق الذي أتخذ موقفا متشدداً ضد الحكومة علي نفسه الأشقاء وأعلن مطالبته بقيام حكومة سودانية في أتحاد مع مصر تحت التاج المصري أما الفريق الآخر فقد نادي باستقلال السودان ثم مالبث هذا الفريق أن أنشأ حزباً سياسياً في ١٩٤٥م هو حزب الأمة (٧) ، ولقد أستطاع أتباع الفريق الأول برئاسة إسماعيل الأزهري أن يسيطروا علي المؤتمر سيطرة تامة (٨) .

أما عن بداية أرتباط المؤتمر بالزعماء الدينيين فنحن ننقل هنا حديث السيد علي عبدالرحمن الأمين حيث يبين بداية هذا الارتباط ونشأة الأحزاب السياسية (تحول المؤتمر في عامه الخامس من منظمة تعليمية إلي إدارة سياسية وأذكر إننا في هذه الأثناء أجتمعنا ونحو عدد من كبار الخريجين بعبدالرحمن المهدي بالعباسية بمنزله ودار الحديث حول الخطة السياسية التي ينبغي أن يسلكها المؤتمر بعد أن أصبح أداة سياسية فانقسم المجتمعون إلي فريقين فريق يري أن يسلك خطة التعاون مع البريطانيين ومطالبتهم لإعداد السودانيين لحكم أنفسهم بانفسهم وتسليمهم شئون البلاد تدريجياً إلي أن يتحقق الاستقلال مرتبطاً بصداقة بريطانيا وعزز هذا الرأي بحماس السيد عبدالرحمن ، بل في الواقع أن السيد عبدالرحمن هو صاحب هذا الرأي والداعي له وكذلك نتيجة هذا النقاس ان أنقسم الحاضرون وكان عددهم يربو علي العشرين وكلهم من الخريجين المهتمين بمستقبل البلاد ومن قادة المؤتمر الذين عملوا علي تحويله من مؤسة تعليمية إلي أداة سياسية وكان فريق يري رأي السيد عبدالرحمن في التعاون مع الإنجليز كما ذكرت وفريق يري أن التعاون مع المستعمرين لايمكن أن يؤدي الي تحرير البلاد من الاستعمار فمهما حسن الظن بالإنجليز لايمكن ان نقتنع أنهم يمنحون السودان أستقلاله برضاهم وأختيارهم وينسحبون منه وحتي لو أضطروا إلي منح السودان نوعاً من الحكم فسيكون حكماً زائفاً واستقلالاً اسمياً وسيظل الحكم الحقيقي في يد البريطانيين فلابد لنا من تحمل أعباء النضال ضد البريطانيين والعمل علي تحرير البلاد من قبضتهم وطرد الاستعمار من أرضنا مهما كلف ذلك من ثمن وأنتهي النقاش وانفض الاجتماع وتآلف حزب

---

(٦) ضرار صالح ضرار: تاريخ السودان الحديث الطبعة الرابعة (بيروت : دار مكتبة الحياة ١٩٦٨) صفحات ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠

(٧) ضرار صالح ضرار: مصدر سابق ص ٢٧١

(٨) بابكر بدري : حياتي ج ٣ ، ص ٦٦

الأشقاء ثم تالف بعده بفترة ليست طويلة حزب الاتحاديين وحزب الأحرار ورأينا أننا لانستطيع إنتزاع المؤتمر من أنصار السيد عبدالرحمن من الخريجين إلا اذا أتجهنا نحو السيد علي الميرغني وأقنعناه بالخط السياسي ليوجه أتباعه من الخريجين لتأييدنا وأتصلنا فعلاً بالسيد علي فرحب بنا كل الترحيب وأبدي حماساً بالغاً ووطنية صادقة وشجعنا علي النضال مؤكداً أن الخريجين من ابناء الخمية وجماهير الختمية في كل مكان في السودان سيلتفون حولنا في نضالنا .. ولقد بذل السيد علي جهداً كبيراً لتوحيد الأحزاب الاتحادية فلم يتيسر ذلك وأخيراً تم الإتفاق علي التزام هذه الأحزاب بأن لايحارب بعضها بعضا وأن يحافظوا علي العلاقة الحسنة بينهم فتم ذلك وألتزم به الجميع (٩).

لقد ظلت العلاقة بين السيدين عبدالرحمن المهدي وعلي الميرغني سيئة ومتردية دهرا طويلا وظل التنافس بينهما شديداً وكان السيد الميرغني يتهم السيد المهدي بالتطلع إلي إقامة حكم ملكي في السودان يعتلي عرشه ، ويتهم الإدارة الانجليزية بتشجيع هذا التطلع وكان تدهور العلاقات هذا سببا مباشرا لتأييد الختمية لحزب الأشقاء ولتأييد الحزب الوطني الاتحادي الذي أندمجت فيه الأحزاب الاتحادية كلها فيما بعد بإيعاز من اللواء محمد نجيب ، وعلي الرغم من تأييد الختمية للحركة الاستقلالية ، فقد ظل السيد علي يردد في مناسبات كثيرة عن عدم أشتغاله بالسياسة ، لقد كان السيد علي يخشي من تطلعات السيد عبدالرحمن بشدة ولقد صرح السير جميز روبرتسن السكرتير الإداري لحكومة السودان : أنه مادامت تداعب السيد عبدالرحمن المهدي طموحات ملكية ، فإنه – أي السيد علي – يؤيد أي حزب يعاديه وهو يفضل أن يصبح هيلاسلاسي (كاخر من يخطر علي البال) ملكاً علي السودان ، وقال بإنه يمقت المصريين وليس هناك سوداني واحد يريدهم ولكن التركية السابقة رغم سوئها كانت أحسن من المهدية وهو لايريد قيام مهدي أخري (١٠).

لقد كان السيد علي يتصور أن الانجليز يساندون السيد عبدالرحمن في تطلعاته تلك ، إن سياسة الإنجليز تجاه السيد المهدي تبدلت تماما فبينما كان السيد علي موضوع الإجلال والتكريم في عام ١٩٠٠ كان يري هناك شاب يرتدي ملابس رثة يركب حمارا يتجه به نحو مركز أم درمان ليتناول خمسة جنيهات شهريا قررتها الحكومة معاشاً له ذلك هو السيد عبدالرحمن (١١) ولكن هذا

---

(٩) علي عبدالرحمن الأمين : الديمقراطية والاشتراكية ي السودان (بيروت) منشورات المكتبة المصرية ١٩٧٠) ص ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣

(١٠) بشير محمد سعيد : مصدر سابق ص ٥١ ، ٥٢

(١١) J. S. R Dunkan : The Sudan's path to independence p

الوصف الذي أورده له المستر دنكان في كتابه طريق السودان الي الاستقلال أنقلب رأساً علي عقب بعد عشرين عاماً عندما تغيرت الظروف لمصلحته وأثارت في نفسه طموحات أن يعترف به كزعيم للسودان ولقد ظل السيد علي الميرغني قبل ذلك يحتل مركز الزعيم الديني المرموق الوحيد الذي تضع الحكومة ثقتها فيه (١٢) لقد إهتزت هذه المكانة الرفيعة بعد الحرب الأولي ، وتغير موقف السيد علي من الانجليز بشكل نهائي بعد العام ١٩٤٠م أنتقل الصراع بين السيدين من المجال السياسي الي الإطار الديني ، ومن ذلك مارواه الشيخ محمد الأمين القرشي والذي قضي جزءاً من حياته مبشراً بالإسلام في جبال النوبة ونجح نجاحا عظيما في ذلك ، وأسلم علي يديه مجموعات كبيرة من أبناء النوبة تقدر بالالاف ، فلما سمع السيد عبدالرحمن بنجاحه هذا طلب منه أن يكون التبشير باسمه ويعطيه مقابل ذلك الأموال اللازمة لهذه العملية ولكن الشيخ القرشي رفض هذا العرض ، فما كان من السيد عبدالرحمن إلا أن أرسل جماعة من شباب الأنصار إلي منطقته بغرض التبشير ، فلما تسامع الختمية بهذا الأمر هرعوا الي هناك فكتب الشخ القرشي إلي السيدين حتي يتراجعا عن ما فعلاه وإلتقي بالسيد علي ويبدو أن السيد علي كان لطيفاً جداً في تعامله مع الشيخ محمد الأمين علي عكس السيد عبدالرحمن الذي حاول أن يماطله مما أدي إلي تحول الشيخ القرشي هو وابناء منطقته إلي الطريقة الختمية بعد أن كانوا أنصارا (١٣).

لقد سعت الختمية الي تجميع أكبر عدد من المؤيدين حول حركتها السياسية ولمناصرة تيارها السياسي ، فلقد تم لقاء في عطبرة بين بعض قيادات الحركة العمالية وبعض قيادات الختمية ، وكانوا يمتلكون العديد من الولاءات في داخل عمال السكة حديد (١٤) لقد أوجدت الختمية اتباعا لحركتها السياسية عند أغلب المثقفين وكثير ممن يحملون شهادات رفيعة في مجالات تخصصهم كانوا يميلون الي الختمية ويؤمنون بقيادة السيد علي السياسية (١٥)

---

(١٢) بشير محمد سعيد : مصدر سابق ص ٥٢

(١٣) أحمد عبدالرحيم نصر (دكتور) : الإدارة البريطانية والتبشير المسيحي في السودان دراسة أولية وزارة التربية والتوجيه (الشئون الدينية والأوقاف ١٩٧٩) ص ٩٩ الي ١٠٣

(١٤) د. حسن علي الساعوري (واخرون): عمال السودان والسياسة (القاهرة : الاتحاد الإسلامي الدولي للعمل ١٩٨٦م) ص ٧٦ مطبعة حسان

(١٥) محمد إبراهيم ابوسليم : لجنة تأبين البروفيسور مكي شبيكة ٩٠٥ – ١٩٨٠

ثانيا : الأحزاب السياسية والحكم الذاتي :

وقعت الحكومتان الانجليزية والمصرية أتفاقاً ثنائياً في عام ١٩٥٣م حول السودان يتضمن هذا الاتفاق كفالة حق الســـودان في تقرير مصيره عقب فترة حكم أنتقالي يتوفر للسودانين فيها الحكم الذاتي الكامل (١٦) .

ولقد جرت الأنتخابات البرلمانية لتشكيل أول حكومة وطنية بعد الإستعمار الذي دامت فترته أكثر من سبع وخمسين عاما ، وكان طرفاها الرئيسان معسكر الأتحاديين بقيادة إسماعيل الأزهري وتحت رعاية زعيم الختمية علي الميرغني ومعسكر الاستقلاليين الذي كان يتزعمه عبدالله بك خليل ويرعاه زعيم الانصار عبدالرحمن المهدي ، وكان شعار الاتحاديين وحدة وادي النيل تحت التاج المصري وشعار الاستقلاليين الأستقلال التام (١٧).

وقد حصل الحزب الوطني الاتحادي علي ٥٣ مقعداً وهي تمثل أغلبية مقاعد البرلمان بينما حصل منافسه حزب الأمة علي ٢٢ مقعداً من جملة المقاعد وهي ٩٢ مقعدا من جملة المقاعد وهي ٩٢ مقعدا وتقسمت الأحزاب الأخري بقية المقاعد المتبقية (١٨) وكانت النتيجة غير سارة لإنجليز حكومة السودان بل ومذهلة فقد كانت تقديراتهم أن حزب الأمة سيفوز بثلاث وثلاثين دائرة يليهم الاتحاديون بشقيهم (الأشقاء والختمية) الذين قدروا انهم سينالون ثماني عشرة دائرة ثم الحزب الجمهوري الذي حسبوا أنه سيمثل بستة عشر نائبا (١٩).

وكونت الحكومة برئاسة الأزهري ، فسارع بتحديد أول مارس ١٩٥٤ يوماً للإحتفال بأول برلمان سوداني ودعي الرئيس محمد نجيب للمشاركة في أفراح ذلك اليوم (٢٠).

ولقد وقعت بعد ذلك أحداث مارس الشهيرة والتي روي الشيـــخ علي عبدالرحمن جزءاً منها فقال (ذهبنا لاستقبال الرئيس نجيب في المطار وجدنا أنفسنا وسط صفين متراصين شاهرين الحراب ، أما نجيب لو كان قد نزل من الطائرة وجاء بالطريق الذي نحن فيه لكنا كلنا تم اغتيالنا لقد كان ألهاما أو شيئاً مدبراً أن نزل نجيب من الطائرة ويذهب بطريق غير طريق المطار ، اثناء ما نمر في

---

(١٦)أحمد سليمان : مصدر سابق ص ١٩٦

(١٧) نفسه: ص ٢١٤

(١٨) محمد إبراهيم الطاهر : تاريخ الانتخابات البرلمانية في السودان – أصدار بنك المعلومات (بدون تاريخ) ص ٢١

(١٩) أحمد سليمان : مصدر سابق ص ٢٢٣

(٢٠) أحمد سليمان : مصدر سابق ٢٢٦

طريق المطار كان السيد عبدالرحمن المهدي طالعاً علي رأس بيت السيد الصديق في أمتداد العمارات وكان يظللونه بواسطة شمسية وهو يؤشر للأنصار كأنه يقول لهم نجيب هرب بالجهة الأخري وفعلا فهم الأنصار إشارة السيد عبدالرحمن فتحولوا ناحية سراي الحاكم العام (٢١) ويقول السيد محمد أمين حسين عن هذه الأحداث وعن موقف الختمية ، (أما موقف السيد علي فإنه بمجرد علمه بأن هناك تحركاً للأنصار أرسل خلفاءه كي يطوفوا علي الختمية ويأمروهم إلا يخرجوا لاستقبال نجيب) (٢٢).

لقد كانت هذه الأحداث مؤامرة رتبها البريطانيون وشارك في تنفيذها الحاكم العام وساعدهم الأنصار الذين هزموا في الانتخابات وكان الهدف منها ضرب أي أتجاه في السودان للاتحاد مع مصر (٢٣).

لقد بدأت الخلافات تظهر داخل الحزب الوطني نتيجة لتكتل الختمية وسعيهم إلي أبعاد العناصر التي لايثقون في ولائها للختمية ، ولقد تفاقم الخلاف إلي أن أدي في نهاية الأمر الي انشقاق الختمية وتأسيس حزب خاص بهم هو حزب الشعب الديمقراطي ولقد قادت الانشقاقات داخل الحزب الوطني الي ما عرف بلقاء السيدين والذي كان من ثماره سقوط حكومة الأزهري وقيام حكومة جديدة قومية مؤلفة من الختمية والأنصار برئاسة عبدالله خليل ، ويظن محمد أحمد محجوب أن التحالف بين المهدي والميرغني أعظم كارثة مني بها تاريخ السياسة السودانية ففي هذا التحالف سعي عدوان لدوان بدافع الجشع والتهافت علي السلطة والمصالح الشخصية الي السيطرة علي الميدان السياسي (٢٤) وكان اللقاء في آخر نوفمبر من عام ١٩٥٥م في منزل الميرغني وظل الإجتماع بينهما خمسين دقيقة ، وكانت تلك أول مرة يلتقيان منذ اكتوبر ١٩٤٦م عندما قرر المهدي السفر إلي بريطانيا لمقاومة بروتوكول صدقي – بغن وقد تم الاعداد للقاء السيدن منذ الثامن والعشرين من نوفمبر عندما اجتمع السيد عبدالله الفاضل المهدي بالسيد علي الميرغني أستجابة لدعوة منه واقترح أن يتم اللقاء فورا بزيارة يقوم بها الميرغني للمهدي في داره ولما نقل هذا الاقتراح للمهدي شكر الميرغني عليه وفضل أن يتم اللقاء في منزل صاحبه بالخرطوم بحري ، فاحسن الميرغني أستقبال ضيفه ، ورد الزيارة للمهدي بداره بالخرطوم بعد يومين من اللقاء الأول (٢٥).

---

(٢١) محمد أحمد كرار: الأحزاب السودانية والتجربة الديمقراطية (الخرطوم: دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٨٥م) ص ١٠

(٢٢) نفسه : ص ١٠

(٢٣) أحمدسليمان : مصدر سابق ص ٢٢٨

(٢٤) محمد أحمد محجوب : الديمقراطية في الميزان ط ثالثة (الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٨٩)ص ١٩٠

(٢٥) بشير محمد سعيد : مصدر سابق ص ١٥٠

وأصدر السيدان البيان التالي :

(الآن وقد شاء الله فتحقق الأمل العظيم الذي ظلت تنشده البلاد منذ أمد ، فالتقينا وتضامنا إبتغاء مرضاة الله ، يسعدنا أن نعلن عزمنا علي الوقوف متكاتفين في كل مايعود علي الأمة السودانية الكريمة بالخير والسعادة والحرية والسيادة الكاملة ، وإننا إذ نحرص علي أن تجتاز البلاد هذه المرحلة الدقيقة بطمأنينة وسلام الي مصيرها العظيم المأمول نهيب بالمواطنين جميعا أن ينسوا نواتهم في سبيل خدمة وطنهم العزيز وتحقيق أمانيه الكبري حتي يتوفر الاستقرار والطمأنينة الضروريان في هذا الظرف العصيب ونرجو أن يتهيأ بذلك الجو الملائم لتعاون جميع أحبابنا ومؤيدينا علي البر والتقوي والخير العام ، كما نأمل أن يمكن التقاء جميع الأحزاب في الحال علي قيام حكومة قومية تكون صمام الأمان لكل ذلك ، وتستطيع أنقاذ البلاد من كل خطر متوقع والله المستعان والموفق لما فيه الخير والصواب(٢٦).

لقد أشترك الختمية بصورة مؤثرة في واقع الحياة السياسية وأسهم السيد علي الميرغني بعد أن كان حليفا للإنجليز ومتعاوناً معهم بكل الصدق والإخلاص ، أسهم في رعاية حركة الوطنيين من المثقفين وخريجي المدارس السودانية ووجد هؤلاء في شخصية علي الميرغني ملاذاً ونصراً لدعوتهم الكبيرة في طلب الوحدة مع مصر وربط الحركة الوطنية السودانية بحركة التحرر الوطني في مصر ، وعلي الرغم من أن السيد علي لم يكن محباً للمصريين في أوقات كثيرة ولم يكن يرغب في عودتهم إلي سدة الحكم من جديد ، وظل مؤيداً لسياسة الإنجليز تجاه مصر إلا أنه تحول في وقت لاحق الي تأييد التيار الوطني المنادي بوحدة السودان ومصر تحت التاج المصري وأصبح من المؤمنين بهذا التوجه وبقوة.

(٢٦) بشير محمد سعيد : مصدر سابق ص ١٥٠

القيادة داخل الطريقة الختمية :

يعتبر السيد محمد عثمان الميرغي (الختم) الشيخ الأول للطريقة الختمية فعلي يديه كان تأسيس الطريقة وبسبب مجهوداته العظيمة أستطاع أن يضم لها أكبر عدد من الأتباع والأنصار ، ولقد كان مركز رئاسته في مكة حيث أقامته الدائمة هناك ولكنه تحول عنها قبل وفاته بقليل الي الطائف نتيجة للمضايقات والتنافس الذي وجده من علماء مكة وقد أرسل ابناءه سفراء عنه ينشرون الطريقة ويدعون إليها ويمارسون بالنيابة عنه تنظيم شؤون المريدين الدينية والإجتماعية وكان من حظ السيد محمد سرالختم وهو أكبر الأبناء أن أرسل الي اليمن وحضرموت وهذا يشير إلي إهتمام السيد محمد عثمان وعنايته بهذه المنطقة ، وهي محل استقرار استاذه أحمد بن إدريس .

أما السيد محمد الحسن وهو من أم سودانية هي رقية بنت جلاب من أسرة معروفة بغرب السودان(كما أوضحنا من قبل) ، ويبدو أن محمد عثمان الميرغني لما أرسل أبنه إلي السودان لينوب عنه أمره بإقامة صلات مع الحكام وأن لايكون بمعزل عنهم علي خلاف نهجه هو والذي أخذه عن أستاذه أحمد بن إدريس(٢٧) وأتخذ السيد الحسن من قرية الختمية . وهي في الأصل أسمها السنية وكان والده السيد محمد عثمان قد أتخذها قاعدة لدعوته في السودان – أتخذها مركزاً لقيادته ، ومنها أنطلقت الدعوة الختمية لتعم وتنتشر في مناطق أرتيريا وشرق السودان ، وقد أستطاع محمد الحسن الميرغني أن يرسخ لدعوة أبيه ، وأن يمكن لأفكاره وتعاليمه ، فكان بحق الرجل الذي استطاع أن يثبت جذور الطريقة ويوجد لها العديد من الامتدادات الولاءات المتزايدة في أرض السودان.

إن العلاقات الجيدة والحميمة التي أقامها السيد الحسن مع الأسر والعائلات الدينية السودانية قد وفرت له قدراً كبيراً من الأحترام والتقدير بين السودانيين ، ومكنته أيضا من بث دعوته بين هؤلاء ، لقد كان السيد الحسن في غاية المرونة والتسامح مع أهل الطرق الأخري مما ساعده علي وجود تعاطف دائم معه ومحبة كبيرة توفرت لدي السودانيين تجاهه ، خاصة إذا أعتبرنا أصله الشريف فهو

---

(٢٧) ابن إدريس الرباطابي ، أحمد : الإبانة النورية . ط دار الجيل بيروت – صفحات ١٣٤ ، ١٣٥

مصدر توقير وتقديس له أيضا ، وقد أتصل الحسن بتلاميذ أبيه وعمل علي تجديد الصلة القديمة بينهم ، ووجد اقبالاً كبيراً وتجاوباً لا محدوداً من السودانيين معه حتي إن ابن إدريس الرباطابي ليقول وهو يصف أنصار السيد الحسن ومريديه : (ثم إن الاستاذ الموما اليه – أي محمد الحسن الميرغني – مر إلي حد سنار ومعه جموع من الخلفاء والاخوان ينوفون عن الحصر ، فأحيا الطريقة واشادها وأقام عمادها وهرعت الخلق لرؤيته وأخذ الطريقة عليه من كل الجهات حتي انه اذا سافر تتبعه نحو السبعين والثمانين راية ، كل راية لخليفة من الخلفاء وتتبعها اناس كثيرون (٢٨) ، ولا بأس أن نقول إن السيد الحسن قد قدم مهودات للطريقة تعد أكبر وأجل من تلك التي بدأها أبوه ، وإن كان السيد محمد عثمان (الختم) قد وضع لبنة البناء الأولي بصرح الختمية الضخم ، فإن الحسن ابو جلابية (٢٩) – كما يعرف في السودان – هو من أتم هذا البناء فأحسن اكماله ، وهو من وصل الشوط الذي خطي أولي خطواته السيد محمد عثمان الختم فاتبعه السيد الحسن أشواطاً أخري.

توفي السيد الحسن الميرغني في ٢٣ نوفمبر ١٨٦٩ (٣٠) وخلفه ابنه السيد محمد عثمان – المشهور بالأقرب – والذي ولد في ٤ مارس ١٨٤٨م (٣١) ٩ وامه هي احدي حفيدات الشيخ خوجلي ، ورغما عن وجود اخ اكبر للسيد محمد عثمان الثاني هو السيد أحمد بن السيد محمد الحسن المولود ١٨٤٦ إلا أن محمد عثمان خلف من ابيه الذي كان يعتقد دائما آن ابنه محمد عثمان متبع لخطوات محمد عثمان الكبير ويمشي علي منواله ، وقد واجه محمد عثمان الثاني مشكلات عديدة وصعوبات بالغة بعد موت والده ، أولي هذه الصعوبات هو قطع الحكومة للمعونات التي كانت تقدمها للعائلات الدينية بسبب تدني الأوضاع الاقتصادية في السودان في تلك الفترة (٣٢).

يعتقد (فول) أن هناك عدداً من الشخصيات من أسرة المراغنة التي تعيش خارج السودان ، قد لعبت أدواراً نشطة في متابعة شؤون الختمية داخل السودان ، أحد هذه الشخصيات هو السيد محمد سرالختم الثاني (ت ١٩١٧م) رئيس فرع الطريقة بمصر وابن السيد محمد سرالختم ابن السيد محمد عثمان الختم قام محمد سرالختم الثاني الذي يعرف عادة بمحمد الميرغني للتفريق بينه وبين أبيه الذي يحمل نفس اسمه ، باجازة عدد من الخلفاء في مناطق السكوت والمحس والشايقية ، ومن هؤلاء الذين شاركوا في تسيير أمور الطريقة وادارتها أيضا السيد بكري بن السيد جعفر (٢٣) بن

---

(٢٨)ابن إدريس الرباطابي ، أحمد : الابانة لنورية ص ١٣٦

(٢٩) هناك رأي طريق حول تسميته بأبي جلابية هو أنه لم يكن يلبس غير الجلباب أو نوع خاص من الجلابيب لايعرفه السودانيين الذين كانوا يلبسون الثوب والجلباب القصير (العراقي) أو لأن جلبابه كان يصدر نورا في الظلام علي مايروي أيضا (مقابلة مع الخليفة محمد نور البدوي).

(٣٠) ابوسليم : تحقيق الابانة ص ٢٤٧

(٣١) نفسه : نفس الصفحة

(٣٢) Ali Salih Karrar , The Sufi brother P. P.89 ,90

(٣٣) كان السيد جعفر بن السيد محمد عثمان (الختم) قد زار السودان في وقت سابق في ١٢٧٥هـ وقضي نحوا من عامين حيث التقي باخيه السيد محمد الحسن الميرغني ، ثم غفل راجعا الي الحجاز ، وتوفي بمكة (راجع : الابانة النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية ص ١٢٧)

محمد عثمان (الختم) الذي حضر الي السودان عقب وفاة السيد الحسن لمساعدة أبناء عمومته ولقد تزوج من السيدة فاطمة بنت السيد الحسن ، وأسهم بصورة كبيرة في تحمل جزءاً وافراً من الأعباء العسكرية والدينية الخاصة بالطريقة أثناء فترة الثورة المهدية .

وأخيرا هناك السيد عبدالله المحجوب أخ محمد سرالختم الثاني وزوج نفيسة بت السيد الحسن والذي قدم من الحجاز إلي السودان حيث مكث فيه الي وفاته في ١٩١٢م ودفن بمقابر الأسرة بالخرطوم بحري (٣٤).

لقد قاد السيد محمد عثمان الأقرب النزاع الذي دار بين الختمية والأنصار ، وعاونه في ذلك السيد بكري بن السيد جعفر ، إن الصراع الذي نشأ بين الطائفتين كان أساسه عدم اقتناع الختمية بمهدية محمد أحمد بن عبدالله بل كانوا يرونه متغولاً عليها ، مدعياً لها ويبدو أنهم كانوا يتوقعون ظهور المهدي علي نحو اخر ، فلقد ربطوا المهدية بالختمية ، وجعلوا للمهدي مرتبه معينة ترددت في ادبياتم كثيرا وذكرها محمد عثمان (الختم) أكثر من مرة أضف الي ذلك أن المهدي لم يقدر الزعامة الختمية حق قدرها فلقد أراد لبيت الميرغني أن ينوب كغيره من الناس العاديين في المجتمع المهدوي وأن يتبعوا عثمان دقنة الذي لم يكن مقبولا لديهم البتة بل كان مرفوضاً حتي بين أتباع المهدية في شرق السودان ، وكان لدي الختمية أكثر من سبب وجيه يرفضون فيه الإنضمام لجماعة يقودها عثمان ولعل أبرز هذه الأسباب أن عثمان دقنة يدين بالولاء للمجاذيب هو وأسرته ، والمجاذيب علي خلاف قديم مع الختمية ، ولقد ذكر صاحب الإبانة أن تلاميذ الشيخ المجنوب قد فعلوا أمورا لاتليق مع محمد عثمان (الختم) ثم ذكر اقبالهم علي مالاة ومناصرة الحركة المهدية فقال :(حتي ظهرت هذه لفتنة الشنيئة – يقصد الشنيعة – والبلية الابتداعية – يريد بذلك المهدية – فبمجرد ظهورها تصدروا لها – أي المجاذيب – وقادوا زمامها وقاموا فيها بأعظم الهمه وصاروا لها قادة وائمة وأهلكوا العبادة وخربوا البلاد وأظهروا في الأرض الفساد فضلوا واضلوا فلسط الله عليهم الحكومة المصرية فخربت ديارهم ومحت أثارهم بسواكن فخسروا الدينا والآخرة)(٣٥) .

قاد محمد عثمان الميرغني الأصغر مقاومة شرسة ضد المهدية وأشتبك معها في عدة معارك من بينها واقعة الجمام في فبراير ١٨٨٤ ، وواقعة الفقيه عيسي وغيرهما ، ثم أزمع السيد محمد عثمان

---

(٣٤) Ali Salih Karrar : The Sufi brother P. P. 88 - 89

(٣٥) ابن ادريس الرباطابي : الابانة النورية ط دار الجيل صفحات ١٠٩ ، ١١٠

الخروج من الختمية فتخرج منها في ٣٠ يونيو ١٨٨٤ قاصداً مصر فوصل اليها عن طريق مصوع ، ثم اقام في مصر بضعة أيام توفي بعدها في يوم السبت ١٠ ربيع الآخر ١٣٠٣هـ ودفن في باب الزير (٣٦).

مشيخة الختمية بعد وفاة محمد عثمان (الأقرب):

خرج السيد محمد عثمان (الأقرب) قبل وفاته قاصداً مصر – كما ذكرنا – ، وكان معه في هذه الرحلة ابنه السيد علي الذي بلغ سواكن ومكث بها حينا من الدهر واختلف فيها الي مسجد قديم انشاه جده السيد محمد عثمان (الختم) عام ١٢٣٠هـ هو مسجد (الأنوار) (٣٧).

ثم ظهر أتجاه لدي أسرة الميرغني بالهجرة الي مصر ولقد رحبت الحكومة بذلك وأبدت استعدادها للعناية بهم وتكفل نفقات عيشهم ثم أن وجودهم في مصر يجعلهم تحت ملاحظة ورقابة رجال المخابرات وأخيراً سافر السيد علي وحده بينما بقيت أسرته في سواكن (٣٨).

أما بقية العائلة الميرغنية فجزء منها كان في أم درمان تحت طائلة المهدية ، وهم ابناء السيد بكري السيد جعفر والسيد الحسن والسيدة عائشة وكانت معهم والدتهم السيدة فاطمة الأولي بنت السيد محمد الحسن (٣٩) كما وضحنا في غير هذا المقام .

لقد ظل السيد أحمد بن السيد محمد عثمان (الأقرب) في أم درمان ايضا وبقي الوضع علي ماهو عليه حتي مجيء الفتح الانجليزي المصري وزوال دولة المهدية ، التي حدت من نفوذ الختمية وشردت قياداتهم وأجبرت خلفائهم علي المشاركة قصراً في جيوشها ، لذلك كانت المهدية نقمة علي الختمية بينما عد مجيء الأنجليز الي السودان هي النعمة التي مهدت الطريق من جديد للختمية لبناء طريقتها وأستعادة نفوذها وتجديد مجدها الآفل أيام حكم الأنصار.

أما إذا عدنا إلي مسألة شياخة الختمية وقضية الزعامة فيها فإننا نقف أمام شخصين آثنين يليهما هذا الأمر ، أولاهما : هو السيد أحمد بن السيد محمد عثمان الأقرب ، والثاني : هو السيد علي بن السيد محمد عثمان ايضا وهو أخ أصغر غير شقيق للسيد أحمد . جده لأبيه هو السيد الحسن بن محمد عثمان (الختم) وأمه أمنة بنت النور من قبيلة الأنقرياب فرع من العبدلاب ، وقد ماتت بسواكن وعمره نحو تسع سنين ، وللسيد على شقيقه واحدة هي السيدة نفيسه(٤٠).

---

(٣٦) نفسه صفحات ١١٢ ، ١١٣

(٣٧) ابوسليم : بحوث في تاريخ السودان ص ١٦٣

(٣٨)ابوسليم : بحوث في تاريخ السودان صفحات ١٦٣ ، ١٦٤

(٣٩) نفسه : ص ١٦٢

ايضا أنظر : (الفصل الثالث من هذه الدراسة كلامنا عن الختمية والحكم الثنائي في المبحث الأول من الفصل

(٤٠) ابوسليم : بحوث في تاريخ السودان ص ١٦٠

بالنسبة لأخيه السيد أحمد فهو أحمد بن محمد عثمان الأقرب أمه خديجة بن عبدالله من أسرة أرترية مسلمة (٤١) .

لقد قضي الأخوان أحمد وعلي جزءاً من طفولتهما وشبابهما منفصلين عن بعضهما ، فالسيد أحمد كان قابعا في أم درمان تحت ملاحظة الدولة المهدية ، في الوقت الذي كان فيه السيد علي يعيش في مصر (٤٢) وفي رعاية عمه محمد سرالختم الميرغني ، وكانت الحكومة الانجليزية تقف من ورائه وتقدم له ولأفراد أسرته في سواكن ولبعض خلفاء الطريقة العون والدعم اللازمين أعترافا بمجهودات المراغنة المقدرة في مواجهة المهدية وتعويضاً لهم عن مافقدوه من أراضي وممتلكات (٤٣) وبذلك لم يتيسر لقاء بين السيد أحمد وأخيه السيد علي إلا بعد الفتح حيث أجتمعا في كسلا وعاشا لمدة ثلاث سنوات معا (٤٤).

إن ابتعاد الأخوين عن بعضهما لفترة طويلة من الزمن وموقف الطريقة الختمية الجديد بعد الفتح ، وأختلاف طبائع البشر ، كل هذ الأشياء أوجدت نوعا من الخلاف بين الآخوين تحول بعد ذلك الي نزاع (٤٥) وأساس الخلاف كما يظن الدكتور ابوسليم قائم حول النفوذ والمكانة وهو أمر عادة مايقع في الطرق (٤٦) ، جاء السيد علي الي الخرطوم حيث السلطة السياسية ومكث السيد أحمد في كسلا واستقر الأمر علي هذا الحال في تقاسم النفوذ والسيادة (٤٧).

ويبدو أن المراغنة قد اتفقوا ضمنياً علي تقسيم جهوي لمناطق نفوذهم وصورة هذا التقسيم كما يظهر كالاتي :

- السيد أحمد : كسلا ، القضارف ، والقلابات ، والهدندوة والشكرية ومقره كسلا .
- السيد علي : بربر ، ودنقلا ، وحلفا ، والخرطوم ، وكردفان ومقره الخرطوم بحري .
- السيدة مريم الميرغنية : جبال البحر الأحمر ومقرها سنكات
- السيد جعفر البكري والسيدة علوية : ارتريا (٤٨) ولظروف سياسية وعملية ظل السيد علي بما توفر له من امكانات ومواهب وأحوال مواتية يعتبر دائماً الرأس والزعيم والممثل الأوحد لبيت المراغنة
- وقد اشرنا إلي هذا التقسيم من قبل .

لقد كان السيد علي زعيماً بحق فلقد أنعم الله عليه بصفات القائد الممتاز الذي يستطيع أن يبحر

(٤١) السيد احمد بن السيد محمد عثمان الميرغني : مقابلة عن (العلاقة بين أسرة السيد أحمد والسيد علي الميرغني ومواقف أسرة السيد محمد عثمان الدينية والسياسية في الطريقة الختمية) بمنزله بشمبات جوار كلية الزراعة جامعة الخرطوم يوم ١٩/١٠/١٩٩٦م

(٤٢) السيد احمد بن محمد عثمان الميرغني : (مقابلة)

(٤٣) ابوسليم : مصدر سابق ص ١٦٤

(٤٤) السيد احمد بن محمد عثمان (مقابلة)

(٤٥) السيد احمد الميرغني :(مقابلة)

(٤٦) ابوسليم : مصدر سابق ص ١٧٤

(٤٧) السيد احمد بن محمد عثمان الميرغني (مقابلة)

(٤٨) ابوسليم : مصدر سابق صفحات ١٧٢ ، ١٧٣

بسفينته إلي بر الأمان ، قال عنه (سير قاوين بل) الذي كان نائباً لآخر سكرتير إداري بريطاني لحكومة السودان ، يصف سماته الخلقية : أنه كان فكهاً خفيف الظل ودوداً وأن كانت فيه انطوائية فلا يكاد يبارح داره ، وكان لايتكلم كثيرا ، وإذا قدر له أن يتكلم فإنه يتكلم في التاريخ وسير الرجال وأحوال الشرق الأوسط الاقتصادية ، يذكر ذلك عن علم وسعة اطلاع ، وهو كثيرا مايردد المأثوات والتعاويذ الدينية (٤٩).

والأستاذ حسن نجيلة أيضاً يتكلم عن السيد علي فيقول : (وفيما نحن جلوس أقبل السير السيد علي الميرغني فقام الجميع تحية له واجلالاً وأقبل كل من الحاضرين عليه يقبل يده وجلس إلي جانبي في وقار وهيبة وفيما هو جالس كان أعيان السودان يقبلون عليه وينحنون علي يده يقبلونها ظاهرها وباطنها ويرجونه الرضي عنهم وحسن الدعاء ، وكانوا كذلك يقبلون يد أخيه السيد أحمد ولكني أشهد أني ما رأيت إيماناً كهذا الذي رأيته مرتسماً علي وجوه هؤلاء الناس بادياً في نظراتهم متجلياً في كل حركاتهم حين اتيناهم مسرعين في خشوع وأجلال يقبلون يد السيد علي وينظرون من طرف كسير نظرة كلها الإيمان و الأجلال ورجاء الرضي وحسن الدعاء ومن هؤلاء الأعيان شباب تلوح عليهم مظاهر القوة والاعتداد بالنفس ومنهم كهول وشيوخ تري علي عوارضهم من الشيب بياضاً في سواد ولكل من هؤلاء الشبان والشيوخ سلطان علي من يدينون له من القبائل والعشائر والسيد علي نحيف قصير القوام دقيق تقاطيع الوجه تنم عيناه ، ببريقهما الشديد عن كثير من الذكاء والدهاء وتطوف ثغره العربي الرقيق الشفاه أبتسامة دائمة تجعل محياه الجذاب دائم الأشراق – ولعله أصغر من رأيت من أعيان السودان جسما وان كان أكبرهم مقاما) (٥٠) .

ولقد زاره الاستاذ/ أبو الحسن علي الحسني الندوي في عام ١٩٥١م فأعجب به وبآرائه في الدعوة والارشاد وأثر الختمية في المحافظة علي الإتجاه الديني لدي الشباب (٥١) وفي الواقع أن السيد علي له العديد من السمات التي جعلته مؤهلا اكثر من غيره لقيادة الطريقة الختمية التي دفع بها في وقت لاحق في معترك الحياة السياسية ويبدو أن هذا الأمر كان سبباً في الخلاف بينه وبين ابناء السيد أحمد كما سنوضح في مايلي من قول ، إذا عدنا الي النزاع الذي جري بين ابناء السيد محمد عثمان (الأقرب) السيد أحمد والسيد علي فيمكننا أن نقول إنه خلاف حول النفوذ

---

(٤٩) أحمد سليمان : مصدر سابق صفحات ١٨٦ ، ١٨٧

(٥٠) حسن نجيلة : ملامح من المجتمع السوداني ص ١٨٧

(٥١) أبوالحسن علي الحسني الندوي : مذكرات سائح في الشرق العربي ط اولي (مكتبة وهبة ١٩٥٤م)ص ١٩٩ ، الطابعون مطبعة الرسالة

والممتلكات العينية وبعض الخلافات المالية كما ذكرنا آنفا ويمكننا أن نجعل نقاط الخلاف في ما يلي :

أولا : الأراضي :

تقدم السيد أحمد بعد الفتح نيابة عن المراغنة بطلب للحكومة بصدد بعض الأراضي بكسلا والتي أعتبرها ملكاً للبيت المرغني ، وفي عام ١٩٠٤م عقدت أتفاقية حول هذه الأرض ، فحصل نتيجة لهذه الاتفاقية علي قطعة أرض كبيرة محدودة بحدود في طريق المدينة باتجاه القاش ، وعلي قطعة أرض كبيرة محدودة بحدود في طريق المدينة باتجاه القاش ، وعلي قطعة أخري شمال كسلا القديمة ورفض طلبه الخاص بارض (قلسا) ولكن سمح له بأخذ الحجر منها مجانًا ، وكان أعطاء الأرض لهم وفقاً لشروط تضمن مصالح الدولة العامة فيها كضمان حق شق طريق وغير ذلك ، وفي عام ١٩٠٨م عدلت الاتفاقية بغرض توسيع سوق كسلا ، وحتي عام ١٩٠٩م لم يتمكن المراغنة من استغلال الأرض والاستفادة منها بسبب المنازعة بين السيد علي والسيد أحمد ولذلك هددت الحكومة بالغاء الاتفاقية اذا لم يكفا عن المنازعة وأستثمار الأرض ، ولكن الخلافات ظلت قائمة يزيدها حدة تدخلات الخلفاء وحركتهم بين الأخوين حتي وصلت ذروتها في عام ١٩١٦م و١٩١٧م مما دفع الحكومة الي التدخل وتقسيم الأرض بمعرفتها ، وإضافة إلي هذه الأرض كانت هناك أملاك للأخوين في كسلا وبعض الأراضي في الحلنقة وهي أيضاً كانت سبباً في خلاف دائم حولها (٥٢).

وفي الخرطوم دار نزاع أيضاً حول أرض ومباني فلقد كان للسيد محمد عثمان الثاني جنينة مساحتها ٧٥ فدان بالخرطوم بحري وقد أخذت الحكومة هذه القطعة للمنفعة العامة وعرضت تعويضا عينياً أو ماديا فاختار السيد علي تبعا لنصح السيد أحمد التعويض العيني وحصلا علي ستة أفدنة في مدينة الخرطوم وهي التي بنيت عليها سراي السيد علي ، وقد اتفق الأخوان علي بناء السراي مناصفة (٥٣)

وقد بنيت وفقا لها الاتفاق ودفع كل طرف حصته كاملة ، أما سبب تفجر الخلاف حوله فهو قيام السيد علي بتسجيل السراي باسمه مع أغفال حق أخوته في الأرض وحق أخيه في الأرض وفي البناء، وفي وقت لاحق بعد وفاة السيد أحمد تقدم ابنه السيد محمد عثمان (شمبات) بشكوي ضد

(٥٢)ابوسليم : بحوث في تاريخ السودان صفحات ١٧٤ ، ١٧٥

(٥٣) ابوسليم : المصدر السابق ص ١٧٥

عمه يطالبه فيها بحقه في السراي ، ولقد حسم الخلاف بينهما نتيجة لوساطات أدت الي صلح وأتفاق ، وخلاصة الإتفاق أن يدفع السيد علي للسيد محمد عثمان (شمبات) تعويض مالي عن حقه في السراي ، أما نصيب أبناء السيد أحمد الباقين – وهما السيد محمد الحسن والسيدة فاطمة – لقدظل في حوزة السيد علي ولازال الخلاف قائم إلي يومنا هذا حول هذه القضية بين ابناء السيد محمد الحسن (كسلا) وهم السيد يسن والسيد طه والسيد عبدالله وبين أبناء السيد علي السيد محمد عثمان والسيد احمد – أما السيدة فاطمة بنت السيد أحمد بن محمد عثمان الثاني فليس لها نسل لعدم زواجها (٥٤).

ثنيا : الإعانات المالية :

كانت اعانات أسرة محمد عثمان الثاني تصرف للسيد علي منذ أيام المهدية علي أساس أنه القائم علي أمر الأسرة وكان السيد أحمد في ام درمان أثناء ذلك ، وبعد الفتح ظلت الإعانة تصرف للسيد علي كالعادة وفي عام ١٩٠٧م طالبه السيد أحمد بتقسيمها فوعد بذلك ولم يف بما وعد ، بالإضافة إلي ذلك كان هناك نزاع بين الأخوين حول دخل قبة الحسن بكسلا ، وقبة المحجوب ببحري وظل كل منهما يتضرر من الآخر علي أساس أنه لايحصل علي نصيبه من الدخل . . السيد علي يطالب بنصيبه من دخل قبة الحسن وأحمد يطالب بنصيبه من قبة المحجوب (٥٥).

ثالثا : قبة السيد الحسن بكسلا :

وقد قام ببناءها السيد محمد عثمان الأقرب وصارت مزاراً ومقصداً للمريدين والاتباع ، وقد هدمها الأنصار اثناء غاراتهم علي كسلا (٥٦) وفي عام ١٩١٣ طلب السيد علي الأذن من الحكومة اعادة البناء علي نفقته ونفقة السيد أحمد بالمناصفة ، وقد وافق السيد أحمد وطلب من أخيه أن يحضر بنفسه الي كسلا أو يقيم وكيلا وافق السيد علي وبلغ اخاه أنه سيحضر لذلك بعد الخريف وفي عام ١٩٢٢م ولكنه لم يحضر لمرضه (٥٧) وقد تولي السيد أحمد بناء الجزء الأكبر منها وحده ، أما الجزء المتبقي وهو السقف فلم يكتمل حتي الآن (٥٨).

ولقد جاء في كتاب السودان تحت إدارة ونجت ، أن الحكومة الانجليزية أعادت بناء المسجد (٥٩)

---

(٥٤) السيد احمد بن محمد عثمان الميرغني : (مقابلة)

(٥٥) ابوسليم : مصدر ابق ص ١٧٦

(٥٦) نعوم شقير : مصدر سابق ص ١٢٠٧

(٥٧) ابوسليم : مصدر سابق صفحات ١٧٦ ، ١٧٧

(٥٨) السيد أحمد محمد عثمان الميرغني (مقابلة)

(٥٩) Gabriel Warburg : The Sudan under Wingate frank cass and God.Ltd (1971) P. 99

(٦٠) السيد أحمد بن محمد عثمان الميرغني : (مقابلة)

(٨٢

وهذا الكلام ليس صحيحا ، فلا يزال المسجد كما هو عليه منذ أن دمرته قوات المهدية (٦٠).

أخيرا : النفوذ علي القبائل ، الخلفاء ، والمناسبات الدينية:

نشأ نزاع في قبيلة الحلانقة قسمها الي شطرين وسبب هذا النزاع هو وجود قوي داخل القبيلة مؤيدة للسيد علي وأخري مناهضة له وتقف مع السيد أحمد وكل جماعة تريد تولية شخص بعينه لزعامة القبيلة (٦١) كذلك لعب الخلفاء دورا أساسياً وهاماً في هذه الصراعات ، وكانوا في كثير من الأحيان يحركون النزاع داخل الأسرة ، وقد عمل بعض الخلفاء من أقرباء السيد علي الي أحداث خلاف بينه وبين أبن أخيه السيد محمد عثمان (شمبات)، الذي أصبح نفوذه في إزدياد بعد وفاة أبيه بمدة وعند ظهور حركة التحرر الوطني والأحزاب السياسية (٦٢) كانت تقام وبشكل سنوي حوليه السيد محمد عثمان (الختم) ومن المفترض أن يقوم بذلك كل زعيم في مركزه ، ولكن بسبب وجود السيد علي في كسلا مع بداية مجيئه لي السودان وبحكم نفوذه هناك فقد ظل أتباعه ينظمون حوليه للختم سنويا وفي عام ١٩١٩ رد السيد أحمد عل ذلك بأن طلب اقامة حولية باسمه للسيد الختم في الخرطوم بحري ، وكان السيد علي يحتفل في الخرطوم وقد اعترض علي طلب السيد أحمد وفي النهاية حسم الأمر بأن يمتنع السيد أحمد عن الحولية في منطقة الخرطوم بحري مقابل امتناع السيد علي عن الاحتفال في كسلا (٦٣) إن الخلافات بين السيد أحمد والسيد علي لم تنته إلا بعد وفاة السيد أحمد في عام ١٩٢٨م ، ولقد حاول السيد علي أن يتقرب الي ابناء أخيه وهما السيد محمد عثمان (شمبات) والسيد محمد الحسن (كسلا) ولأن السيد علي كان مهتما بالسياسة منغمسا فيها فقد سعي الي اشراك ابناء أخيه معه ، أما السيد محمد الحسن فلقد كان راغبا عن الأضواء يمقت السياسة ومايتصل بها ولم يشترك في عمل سياسي سوي مرة واحدة فقط عندما كلفه السيد علي بجمع الناخبين في أول انتخابات برلمانية في السودان ، ويروي عنه أنه ظل يعد هذا الأمر ذنبا يستغفر الله منه ولايعود اليه إلي أن توفي في عام١٩٨٧م.

بالنسبة للسيد محمد عثمان (شمبات) فلقد اشترك مع عمه السيد علي في التأليف بين الأحزاب الاتحادية إلا أن خلافاً حول بعض الاتجاهات السياسية حدث بينهما ، نفض بعدها السيد محمد عثمان يده عن العمل السياسي واعتكف في منزله بعيدا عن أجواء العمل العام حتي وفاته في عام ١٩٦٨ (٦٤).

---

(٦١) ابوسليم : مصدر سابق ص ١٧٧

(٦٢) السيد أحمد بن محمد عثمان الميرغني :(مقابلة)

(٦٣) ابوسليم : مصدر سابق ص ١٧٨

(٦٤) السيد أحمد محمد عثمان الميرغني : مقابلة)

من الملاحظ أيضا عدم اتصال ابناء السيد أحمد بالحكومة من قريب أو بعيد ، بل ولقد تعرضا لغضب الحكام بعد الحرب العالمية الثانية وسبب ذلك أن السيدين محمد عثمان ومحمد الحسن قاما بتقديم خدمات كبيرة لمواطني مدينة كسلا في أثناء فترة الاحتلال الايطالي للمدينة وبعد انتهاء احتلال الايطاليين ، أرادت الحكومة الانجليزية تقديم أنواط ونياشين وتقديراً لما بذلاه من مجهودات ، ولكن السيدين رفضا هذا الأمر ، لأنهما أعتبرا ما أدياه من جهد وما قدماه من معونة كان المقصود به المواطنين وليس أحدا آخر ، ثم أن هذه الأوسمة والنياشين كانت تحمل شعار الدولة الإنجليزية وهي الصلبان ، مما يتنافي مع عقيدة المسلمين ، وقد أغضب هذا الرفض الحكومة وجعلها تنزع عدداً من الأراضي الخاصة بالسيدين في كسلا (٦٥).

من الواضح ومن خلال ماذكرناه عن ابني السيد أحمد نجد أنهما يتمتعان بقدر كبير من التورع والزهد والبعد عن الظهور والميل إلي العزلة والاهتمام بالنواحي الدينية ، وعدم الإنجراف وراء الخصومة والنزاع وكان من الممكن جدا أن يعملا علي أيجاد تيار مناؤي لعمهما السيد علي ولكنهما أثرا الصمت والانزواء لباعث أيماني صرف.

يجدر بنا كذلك أن نشير إلي أهمية القيادات النسوية عند الختمية فالسيدات من المراغنة مارسن نفس الأدوار الروحية والدينية التي أداها الرجال من نفس البيت.

ولقد أدرك (غربون) من قبل أثر هؤلاء النساء الفضليات علي المجتمعات التي يسود فيها الولاء لبيت الميرغني ، فطلب من السيد محمد عثمان (الأقرب) أن يبقي علي السيدات المراغنة في منطقة شندي لأن ذلك سيسهم في أيجاد قدر من الهدوء والاستقرار علي المنطقة (٦٦) ومن أبرز سيدات المراغنة اللاتي مارسن مهاماً روحية السيدة علوية والسيدة مريم الميرغنية بنات السيد هاشم بن محمد عثمان (الختم).

---

(٦٥) نفسه

(٦٦) ابوسليم : مصدر سابق ص ١٦٢

خاتمة البحث

هذا تلخيص لأهم النتائج والحقائق التي توصلت اليها من خلال هذه الدراسة :

١/ ينتمي السيد محمد عثمان الميرغني (الختم) المولود بقرية السلامة قرب الطائف في ١٢٠٨هـ / ٩٣ - ١٧٩٤م والمتوفي في ١٢٦٨هـ / ١٨٥٢م الي أسرة دينية عريقة أشتهرت بالصلاح و التقوي وسعة العلم ، وعرف عنها أتصالها ببيت النبوة ، عبر سلسلة نسب جاءت في أدبيات المراغنة ، ونوه الي صحتها عدد من أكابر العلماء في ذلك العهد ، ولقد تتلمذ محمد عثمان (الختم) علي يد عدد من أقربائه وعلي آخرين أيضا أخذ عنهم علمي الظاهر والباطن.

٢- اشتهر السيد عبدالله الميرغني (المحجوب) المتوفي في سنة ١٧٥٢م وهو الجد المباشر لمحمد عثمان الختم ، بالعلم والصلاح وكثرة المؤلفات.

٣/ اتصل السيد محمد عثمان الميرغني بالسيد أحمد بن إدريس (ت ١٨٣٧م) والذي أمره بالتوجه إلي السودان لنشر تعاليمه وبث أفكاره ، ولقد زار الميرغني السودان ثلاث مرات لقي خلالها مكاسب كبيرة من جهة الاتباع والانصار وحقق نفوذا واسعا في شمال وشرق السودان حيث أسس قريته (السنية) في التاكة والتي أضحت مركزاً هاماً للدعوة الختمية .

٤/ واجه الميرغني بعض المضايقات خلال مسيرته الدعوية في السودان ، فلقد تعرض لغضب الحكام والزعماء السياسيين في مناطق شندي وكردفان وسنار ، وقد أسهمت هذه المضايقات في الحد من نفوذه شيئا مافي بعض أجزاء تلك البقاع ، أيضا لقي الميرغني مواجهة ومخالفة من قبل أنصار الطريقة المجذوبية ،.

٥/ إن من أبرز الأسباب التي قادت محمد عثمان الميرغني الي نجاحه الباهر في أقليم السودان هو ماتمتع به من امكانات ومواهب ومزايا ، فلقد كان الميرغني عالماً شريفاً من أسرة دينية معروفة مما أهله لكسب ثقة العوام والخواص من السودانيين .

٦/ عين السيد محمد عثمان أبنه السيد محمد الحسن – وهو من أم سودانية – ممثلاً عنه ، وناذبا له في السودان وحضه علي التعاون مع الحكام والأتصال بهم ، وأن لايكون خاله معهم كحاله هو ، فقد كان الختم متشبها بابن إديس لايقرب الحكام ولايقف علي بابهم .

٧/ أستطاع السيد الحسن أن يكمل المشوار الذي بدأه أبوه ، فثبت من أركان الطريقة ووطد نفوذها ، وجمع الناس من حولها ولقد أتيح له ذلك بسبب مواهبه الفذة في انشاء علاقات واسعة علي إمتداد السودان وبفضل زيجاته من أسر سودانية معروفة أيضا كان الحسن متسامحا جدا مع أهل الطرق الشيء الذي أورثه قبولا وحبا من كافة الطوائف.

٨/خلف السيد الحسن ابنه السيد محمد عثمان الأقرب والذي تعاون مع التركية السابقة للقضاء علي الثورة المهدية ، ولقد كان موقف الختمية من المهدية موقف الخصم والعدو ، وأصل هذا العداء يعود الي ثوابت فكرية وأصول عقدية تقرر ان دعوة المهدية دعوة باطلة ولاتستند الي الشريعة الخالصة في هديها .

٩/ اهتمت الحكومات المتعاقبة بالختمية ، ومرد هذا الاهتمام يرجع الي السطوة والنفوذ اللذين وجدا عند المراغنة تجاه قطاعات من الجماهير السودانية .

١٠/ تعاون السيد علي الميرغني خليفة السيد محمد عثمان الثاني تعاوناً مثمراً مع سلطة الحكم الثنائي ، ولقي جراء ذلك الدعم والتأييد من قبل الحكومة ، وأستمر هذا الحال الي حوالي ١٩٤٠م حيث تغيرت بعدها سياسة السيد علي تجاه الانجليز وأظهر ميلاً واضحاً للتيار الوطني المنادي بربط مصير السودان التحرري بمصر .

١١/ أعتبر السيد علي راساً روحياً وراعيا للأحزاب الاتحادية التي أشتركت في تكوين المنظومة السياسية قبل الاستقلال .

١٢/ نشأ نزاع داخل بيت المراغنة بين عائلتي السيد علي والسيد أحمد ، ومرد النزاع هو الخلاف حول النفوذ والممتلكات .

١٣/ ظل السيد أحمد الرأس القائد للختمية في منطقة شرق السودان بينما كان السيد علي يسيطر علي مناطق وجود الختمية في شمال ووسط وغرب السودان ، ولقد برزت من بيت المراغنة وفي كل الأوقات وحتي هذا العصر سيدات مارسن ادواراً روحية ودينية في حق الطائفة الختمية.

١٤/ تنور معتقدات المراغنة وتعاليمهم في فلك المبادىء العامة التي يدين بها أغلب المتصوفة في العالم الإسلامي ، فيكثر عندهم الاهتمام بالرياضات من خلوة وجوع واقبال علي العبادة والذكر

وتدرج في سلم الذوق والتمام الانساني ، وماسوي ذلك مما يتوفر لدي أهل التصوف من نظم وسبل .

١٥/ للختمية العديد من الأدبيات التي قام بتأليفها مشائخهم من بيت المراغنة ، وقد ألف السيد محمد عثمان (الختم) العديد من المصنفات التي تشرح أصول الطريقة وتوضح طرائق التعبد و الذكر عند الختمية .

١٦/ ليست للختمية – في أصولها القديمة – أية صلة فكرية بالتشيع ولم يظهر الاتجاه الذي ربط بين عقائد الختمية ومبادئهم العامة وبين معتنقات الشيعة إلا مؤخرا وفي وقت حديث.

ملحق رقم (١)

إجازة السيد محمد عثمان الختم (١)

بسم الله الرحمن الرحيم به الاعانة بدءا وختما وصلي الله علي سيدنا محمد ذاتاً ووصفاً واسما.

الحمد لله الذي جعل سندنا متصلا بمصطفاه ، فعلو كل اسناد بحسب مايكون منتهاه ، والشكر لمن جعل الطرق الي حضرته لاتعد والصلاة والسلام علي من هو لنا في أمورنا السند وعلي اله وصحبه ومن في الطريق جد.

وبعد، فيقول المكني بهذه الكنية من المصطفي أبو محمد وعبدالله وزينب ومحمد جعفر ، ومحمد عثمان الميرغني المكي الختم أورده الله مورد الصفا هذه اجازة كبري عامة في طريقتي الباطنة و الظاهرة الفخري فاقول وبالله ورسوله لما كان الاسناد للدين من أعظم أركانه وأتصال السند بالمصطفي عليه السلام مما يشيد لبنيانه أحب هذا العبد آن يذكر صورة اجازة تكون لطريقة حيازة وهذا سند طريق القوم وبعض علم الظاهر ، وأما الكثير منه فتركته وساذكر في موضع أخر ناير ، فاقول ان اعلا أسانيدنا هو سند شيخ أرشادي سيدي وعمدتي وملاذي العارف بالله قطب حيطة الولاية غوث دائرة الخصوصية الحال منها درجة الغاية أمام تربيتي ابا محمد الفتي النفيس مولانا الشريف المغبي احمد بن ادريس أدام الله علي ولي جميع أهلي وعليه عمله كثير التهليل وقد لقنته وأعطاني عدده بفضل الكبير ، وكذا أخذت عنه الاسم المفرد اسم الذات وكذا أسند عنه اسم الهوية باثبات وايضا الحي القيوم وأجازتي اجازة عامة بلسان في كل الأذكار والعلوم وطلب مني بعض الأخوان بعد بعض الاسفار شيئا من اسانيده عالية المقدار فارسلت اليه بمكتوب فارسل الي بمرسوم وذكر فيه كم من سند محبوب وصورة مارسمه بعد كلام جميل قد اخذنا الطريق عن غوث وقته وامام عصره الشيخ الجليل سيدنا ومولانا عبدالوهاب التازي ثم الفاسي داراً ومنشاً وهو أخذ عن غوث وقته وإمام عصره الشريف الجليل الحسني سيدنا ومولانا عبدالعزيز الملقب بالدباغ الفاسي دارا ومنشا وهو أخذ عن شيخ الشيوخ الفرد الجامع سيدنا ابي العباس أحمد الخضر عليه السلام وهو الذي لقنه الذكر مشافهة بلا واسطة فخدم الذكر الذي لقنه له خمس سنين ففتح الله عليه والحقه بمن عنده والخضر تولاه الله بلا واسطة مشيخة بل عناية من الله به اتيه رحمة من عنده وعلمه من

لدنه علما كما صرح القران ، وقال ايضا رضي الله عنه ووجه اخر علا من هذا فأنا اخذنا الطريق عن شيخنا عبدالوهاب المذكور وهو اخذ عن النبي (صلى الله عليه وسلم) فاني سمعت رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول مارأيت انفع منه لا إله الله محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهذا هو عين الأخذ عن الرسول بعينه والسند اذا كان عاليا بقلة الوسايط كان اكمل وافضل عند اصحاب الاسناد وهناك طرف اخر كانت في الابتدأ مستطيله بكثرة الرجال فطال السند فيها فتركناها لوجود ماهو اقرب منها واخذنا الطريق ايضا عن شيخنا المحب الشيخ المجيدري وهو أخذ عن قطب الجن الشيخ محمد القفوي وهو أخذ عن سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهو عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وبهذا السند عينه أخذنا الحزب السيفي ، واخذنا الطريق أيضا عن شيخنا سيدي أبن القاسم الملقب بالوزير وسنده يتصل بالشاذلي بوسايط كثيرة ، وسند الشاذلي يتصل بسيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه تركت ذكر سنده لطوله. انتهي ما وصل الي بخط الاستاذ شيخ تربيتنا العارف الملاذ ، ومن طرقه التي أخذها عن شيخ تربيته القطب سيدي عبدالوهاب الطريقة النقشينديه كما اجازني بذلك سر السر العجاب وأجازني في جميع الانكار والطرق والتلاوة والصلاة علي النبي عليه الصلاة والسلام التي معناها يرق وأقول الحقير لنا ايضاً في السابق أسانيد مستطيلة منها السند المنظوم الذي كنا نجيز به سابقا وغيره اسانيد جليلة تركناها للعلة التي ذكرها ولي نعمتنا الملاذ واقول قد خلفت واجزت عني الصفي الخليل واثق العهد الوفي صديقي وحميمي الصادق ولي محبتي الموافق الخليفة محمد ابن الفقيه محمود واجزت لي طريقتي ومافيه له أهليته من علوم الظاهر البهية كما أجازني من ذكرت وغيرهم في الطريقتين ، ثبتني الله واياه واياكم وجميع أولادي وأصحابي علي النهجين وأوصيه بتقوي الله في كل الانفاس وملازمة ذكره المطهر من الأدناس وان لاينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته وصلي الله علي سيدنا محمد واله وصحبه بقدر عظمة ذاته .

ملحق رقم (٢)

إجازة السيد علي الميرغني (١)

بسم الله الرحمن الرحيم به الاعانة بدءاً وختماً وصلي الله علي سيدنا محمد ذاتاً ووصفاً واسما.

الحمد لله الحي القيوم العلي العظيم وحده والصلاة والسلام علي الفاتح الخاتم الذي لانبي ولا رسول بعده.

وبعد فيقول رق مولاه الغني علي ميرغني الراجي من مواهب مولاه فيضه الأعذب الهني إني قد إجزت وخلفت الأخ الأصدق والمحب الأوفق الخليفة حامد أحمد الرقاع وجعلته خليفة في طريقة الاستاذ الأكبر صاحب الأمر السني ختم أهل العرفان الميرغني المكي سيدي السيد محمد عثمان أمدني الله وأياه والمسلمين أجمعين بهواطل أمداداته وبركاته آمين ، وقد أجزته في جميع أذكار الطريقة الختمية الطاهرة النورانية وفي كل ماله فيه أهليه من تلاوة قران وتدريسه وتعلم علم وتدريسه وغير ذلك من وظاذف الدين كما أجازني بذلك والدي وشيخي وبركتي سيدي السيد محمد عثمان ميرغني وهو عن والده الاستاذ صاحب الفيض والمنن سيدي السيد محمد الحسن ميرغني وهو عن والده العارف بالله المنان ختم اهل العرفان المذكور انفا جدي السيد محمد عثمان هو عن استاذه القطب الغوث الفرد الجامع والغيب الهطل الهامع العارف بالله النفيس ابي محمد الشريف سيدي السيد أحمد بن ادريس وهو عن استاذه القطب الفرد الجامع والغيب العاطل الهامع الشريف سيدي السيد عبدالعزيز الملقب بالدباغ وهو عن أستاذه العبد الكريم علي رب الذي اتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علمه سيدي ابي العباس الخضر عليه السلام وهو عن النبي صلي الله عليه وسلم وعن رب العزة جل جلاله هذا وأوصيه بتقوي الله في جميع الانفاس وملازمة ذكره المطهر من الأدناس وأن لاينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي اله وصحبه وبقدر عظمة ذاته امين .

علي ميرغني ١٣٣٧هـ

---

(١) السودان : دار الوثائق المركزية متنوعات ١/٨٦/١٤٠١هـ

ملحق رقم (٣)

سلسلة نسب السيد محمد عثمان الختم (١)

محمد عثمان بن السيد ابي بكر بن مولانا السيد عبدالله الميرغني المحجوب بن السيد ابراهيم بن السيد حسن بن السيد محمد أمين بن السيد علي ميرغني بن السيد حسن بن السيد ميرخورد بن السيد حيدر بن السيد حسن بن السيد عبدالله بن السيد علي بن السيد حسن بن السيد حيدر بن السيد ميرخورد بن السيد حسن بن السيد بن احمد بن السيد علي بن السيد إبراهيم بن السيد يحيي بن السيد حسن بن السيد بكر بن السيد علي بن السيد محمد بن السيد اسماعيل بن السيد ميرخورد البخاري بن السيد عمر بن السيد علي بن السيد عثمان بن الامام علي المتقي بن الامام الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد بن الامام علي الرضا بن الامام موسي الكاظم بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وابن الزهراء البتول .

---

(١) انظر : السيد جعفر بن محمد عثمان الميرغني : لؤلؤة الحسن الساطعة ص ٣٩ – ٤٠

ملحق رقم (٤)

بيعة الامام الختم السيد محمد عثمان الميرغني (١)

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي اله وصحبه وسلم.

اللهم اني تبت اليك ورضيت بسيدي السيد محمد عثمان الميرغني شيخاً لي في الدنيا والآخرة فثبتني اللهم علي محبته وعلي طريقته في الدنيا والآخرة بحق سيدنا محمد بن عبدالله بن عدنان ، وبحق بسم الله الرحمن الحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، أياك نعبد وأياك نستعين ، أهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين امين .

---

(١) الميرغني ، محمد عثمان : راتب الميرغني ص (٤)

ملحق رقم (٥)

كيفية انتقال المقدمات (١)

تغسل أولا كغسل الجنابة يوم الاربعاء بأمر شيخك وتصلي ركعتين الأولي بالفاتحة والكافرون ، والثانية بالفاتحة وسورة النصر ثم تسلم وتقرأ البيعة وكيفيتها :

(اللهم أني تبت اليك ورضيت بسيدي محمد عثمان شيخنا في الدنيا والآخرة ثبتني اللهم علي صحبته وطريقته في الدنيا والآخرة بحق سيدنا محمد بن عبدالله بن عدنان وبحق بسم الله الرحمن الرحيم .

وتقرأ الفاتحة سراً ثم تشرع في التهليل وعدده سبعون الفاً بالوضوء وتستعمل في مجلسك ذلك نحو مائة مرة ثم تتم باقي العدد قائما أو قاعدا بالوضوء ثم فراغك من التهليل تغتسل ايضا كما تقدم وتستعمل الاخلاص مائة الف بلا ضوء أيضا ثم تغتسل أيضا كما تقدم يوم الاربعاء بعد الصبح وأستعمل البسملة أثني عشر الف في مجلس واحد مع الطهارة الكاملة ثم بعد تمام المقدمات تمضي الي شيخك يلقنك الذكر .

---

(١) الميرغني ، محمد عثمان : راتب الميرغني ص ٥ ، ٦

ملحق رقم (٦)

توجيه من السيد محمد الحسن الي أسرة الحمدتياب (١)

بسم الله الرحمن الرحيم به الإعانة بدءاً وختما وصلي الله علي سيدنا محمد ذاتاً ووصفاً واسما وأن من رق مولاه الفتي محمد الحسن ميرغني الي حضرة العالم العلامة والحبر الفهامة التقي النقي الفقيه الأجل الشيخ حمدتو محمد مدني والفاضل الأريب الكامل الأريب الفقيه شيخ ولد ابراهيم واولاد الحاج شيخ حمدتو مدني وابي بكر ومحمد الماحي وأولاد أحمد محمد أحمد وابابكر وكامل الجماعة الحمدتوياب حفظهم الله ورعاهم وفي جميع السوء والمكروه حماهم امين وبعد ترديد السلام عليكم ورحمة الله تعالي وبركاته والذي تعرفكم به ان اخينا الخليفة حمدتو حضر عندنا واخذ الطريقة وخلفناه وأجزناه اجازة كبري في جميع أذكار الطريقة وأورادها أستعمالاً وتسليكاً لمن يطلب ورداً خاصاً أو عاماً ومراداً في جنابكم مراعاته ومساعدته ومحاضرته ومعاونته كونكم بفضل الله من اخواننا واحبابنا من سابق الي الآن لكن ليس في مسجدكم راتب ولا مولد ولا شيء من وظائف الطريقة المخصوصة وقد عينا الخليفة حمدتو للقيام بجميع ذلك وطلبنا منكم مساعدته ومعاضدته والله يؤيده ويتقبل أعماله ويرفع قدره وذكره.

سنة ١٢٨٣ محمد الحسن الميرغني

---

(١) السودان : دار الوثائق المركزية متنوعات ١/٦٤/١١٥٩

ملحق رقم (٧)

اجازة السيد عبدالله محجوب الميرغني (١)

(......) بهما كما خوطب بذلك مرة و (نسأل) الله الشكر علي هذه المسرة ، وأقول قد (أجزت) وخلفت عن المحب الصفي والخل واثق العهد الوفي صديقي وحميمي الصادق ولي ومحبي الموافق الخليفة محمد ولد عيسي وجعلته خليفة الخلفاء.

وأجزت له في طريقتنا المذكورة في ما فيه له فيه اهلية من علوم الظاهر البهية ، كما أجازني والدي وعمي عن من ذكرتهم وغيره في الطريقتين ثبتني الله وأياه وأياكم وجميع أصحابي وأحبابي علي النهجية وأوصيه بتقوي الله في كل الأنفاس وذكره المطهر من الأدناس وأن لاينسان من صالح الدعوان في خلواته وجلواته وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي اله وصحبه بقدر عظمة ذاته ، أمين

عبدالله محجوب ميرغني

---

(١) أنظر : محمد ابراهم ابوسليم : بحوث في تاريخ السودان ص ١٤٠ ، ١٤١

ملحق رقم (٨)

خطاب من المهدي الي محمد عثمان بن محمد الحسن الميرغني (١)

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الوالي الكريم ، والصلاة علي سيدنا محمد واله مع التسليم ، وبعد فمن العبد المفتقر الي الله محمد المهدي بن عبدالله الي حبيبه في الله محمد عثمان بن محمد الحسن ميرغني كان له مولاه الغني امين .

أما بعد فجزيل السلام ورحمة الله وبركاته عليكم وعلي من لديكم ثم تعليمكم انه قد تكررت المخاطبات منا الي عباد الله بالدعوة الي الله والانابة الي ماعنده والقيام بأمره والانقياد له والخروج عن النفس والعلاقة المعوقة كل من أخلص لله وكأن أمره لله قد أتصل لدين الله معنا ومن لم يجتمع قام بأمر الله علي قصد اعانتنا وقاس الشدائد لصفاء سريرته في ايثار ماعند الله فهو منا والينا ولو مات علي ذلك فجدير ان يتصل بربه ويتنعم عنده بما لايوصف من النعيم المقيم ويستريح من شؤم الدنيا وقد كاتبناك خاصة غير مرة رعاية لمقامكم وشفقة عليكم وظناً لخيركم فما رددتم الينا جوبا ولاحضرتم للهجرة ولا حصلت منكم غيره للدين بأعمال حركة في جهتكم وما أدري ما المانع لكم من ذلك مع أنكم أولي بالفرح بنا وأجابتنا ونصرة دين الله من كل أحد فما الذي أخركم حتي فاتكم العوام وانتم العارفون واولو الشرف والمقام وذووا الألباب الذين قال الله فيهم ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لايات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلي جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات الأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للايمان أن امنوا بربكم فامنا وانك من اعظم من يعد ويظن بالصداقة والاخلاص لله في مثل هذا الأمر وما عهدتك انك تتباطي علي قدر هكذا لانك جد عارف بعظمة ما عند الله وخسة الدنيا ومافيها ووجوب الهجرة الي اذ أنه لايخفي علي من دونك خليفة رسول الله صلي الله عليه وسلم محي ما أندرس من الدين ومظهر أثار المرسلين ومن المعلوم ان المهدية أختبار لمن يدعي الدين فكل من كان لدين الله الخالص

---

(١) أنظر : الإمام المهدي : منشورات ص ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧، ١٦٨

صادقا لا يأبي التعبد والانقياد والتواضع لحوز ما عند الله الدايم ، ومن كان باطنه حب الجاه ويجي اليه من الهدايا والوظيفة عند غير الله مال الي ذلك وتوقف وصرف جماعة من الناس عن الدين الواصل كما كان ذلك دأب القسيسيين والرهبان الذين كانوا يعرفون رسول الله صلي الله عليه وسلم ويستفتحون به فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به خوفا من فوات الجاه والوظيفة عند الناس ومايجيء إليهم من الهدايا والقطايف حب متاع الحياة الدنيا وماذلك عند الله بمخلص ولا يتولي العبد عند لقاء الله قال تعالي ليس بامانيكم ولا مافي أهل الكتاب من يعمل سوء يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولانصيرا وقال ومايغني عنه ماله اذا تري الي غير ذلك وانك ياحبيبنا ممن لم يكن دينه علي حرف ان أصابه خير أطمان به وان أصابته فتنة أنقلب علي وجهه بل أنت ممن يطلب رضاء الله ولو تقطعت أربا أربا وفاتت عنك جميع المطالب النفيسة لا تعلمه من عظمة اله ونعمته وشدة عقابه لمن وقع فيه وكل ذلك انت خبير به وشانك ان تربي من اتاك هكذا فاستعمل ذلك وتبصير عاقبة امرك فأنه لاغناء لك من صلاح نفسك واكتساب ما عند الله وانك من اعظم من يقبل النصح تواضعا لله الذي خلق واحيا واليه المرجع ومن اخص المؤمنين الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه فإذا بلغك جوابي هذا فاما ان تهاجر الي انت ومن معك من الاصحاب المحبين من غير نظر اي علاقة ، وأما ان تحاصروا الترك الذين في جهتكم وتجاهدوا من اغتر بزينة الدنيا ولا رضاء لنا عنكم إلا بهذين الأمرين فان فعلتم احداهما رضينا عليكم وإلا فلا وقد تعلم انه لايتحول احد بغير الله فلا تخافوا أعداء الله الذين تواصيهم بيد الله وأستعملوا أمر الله فيهم ولاتابوا بلاء الله لكم لتصفية الإيمان والفوز عند الرحمن فالي متي الفرار من بلاء اله الذي فيه لكم الكرامة والفخامة والله تعالي يقول (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباسا والضراء وزلزلوا) وكيف لمثلك أن يركن الي الراحة وترف المترفين في دار الظالمين فأنهض همتك وقو بالله عزمك وشمر فيما يرضيه جهدك وقد ذكرتك بهذا أمتثالا لأمر الله تعالي لقوله (وذكر فإن الذكري تنفع المؤمنين) هذا واذا توكلتم علي الله ورغبتم الجهاد والمحاصرة هناك فأتحدوا مع عثمان دقنة مع جميع الامرا الموجودين هناك ، ولا تخالفوا عثمان دقنة في شيء لا تستأنفوا من ذلك فإن منزلتكم عندنا معروفة وأولي التقدم المذكورين في ايثار ماعند الله والرغبة في وسع درجات الآخرة لمعلومكم

ان ما عند الله خير وأبقي ومعلوم ان العاقل يسعي فيما هو خير لاسيما وقوة أحاطتكم بمعرفة عظمة ما عند الله ومعرفة خسة الدنيا ومافيها فلذلك لايخفي أن المخلص في طلب ماعند الله يطيب قلبه أن يشيد الدين ويؤيده ولو مع شلكاوي وإن قصد المؤمن المصدق حوز رضاء الله والسعي فيما يقربه من الله ومن كان علي حرف من الدين فرح ان وجد الرياسة والمال والمنافع الفانية وان لم يجد ذلك نازع وأعرض اعاذنا الله وأياكم من ذلك إذ أن ذلك للمنافقين الذين قصرت همتهم علي الدنيا فرضوا بها وأطمأنوا غافلين عن ايات الله تعالي ولم يجعل الدار الآخرة للمؤمنين المخلصين قال الله تعالي (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا في الأرض ولافسادا) فإرادة العلو مفهومة وارادة الفساد أعظمها حب الدنيا إذ هي رأس كل خطيئة ولظننا ببراءة ساحتكم عن ذلك كاتبناكم أولا من أبتداء أمر المهدية لظن الخير فيكم وقيامكم بخالص الدين ومانظن توقفكم عن الهجرة والجهاد هذا لأن يحسد الحاسدين فاذا بلغكم جوابي هذا فحققوا ظني فيكم وقد ذكرنا لكم اذا ان الكشف الصادق والدكم السيد الحسن اتا الينا مراراً وتكراراً بإمرات وببعض الصفات التي تحققت فبعد هذا فمثلكم أولي بالقيام بما لله وإيثاره علي جميع المشاهي والسلام. شوال ١٣٠١هـ.

ثبت المراجع والمصادر

١/الرباطابي ، أحمد بن احمد بن إدريس : الابانة النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية تحقيق الدكتور محمد إبراهيم ابوسليم ط اولي (بيروت : دار الجيل ١٩٩١).

٢/ أحمد محمد أحمد جلي (دكتور) طائفة الختمية أصولها التاريخية واهم تعاليمها ط أولي (بيروت : دار خضر للطباعة والنشر ١٩٩٢).

٣/ الشاطر بصيلي عبدالجليل : (تحقيق مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية والادارة المصرية جمعها وكتبها أحمد بن الحاج أبو علي كاتب الشونة (الجمهورية العربية المتحدة وزارة الثقافة والارشاد القومي تراثنا)

٤/ أحمد محمد شاموق : من هوامش الثورة والسياسة (بيروت : دار العربية للطباعة والنشر) (اغفلت تاريخ الطبع).

٥/ أحمد سليمان : ومشيناها خطي صفحات من ذكريات شيوعي أهتدي الجزء الثاني الطبعة الأولي (الخرطوم: دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٨٦)

٦/ أحمد عبدالرحيم نصر (دكتور) : الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان دراسة أولية (وزارة التربية والتوجيه الشئون الدينية والأوقاف ١٩٧٩) المطبعة الحكومية بالخرطوم .

٧/ أحمد عثمان ابراهيم: تطور الوعي القومي في السودان مطابع دار النيل الأزرق للطباعة والنشر ودمدني (بدون تاريخ).

٨/ أحمد عثمان ابراهيم : الثورة المهدية فكرة ونظرية مجلة الدراسات السودانية يصدرها معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم العدد الأول المجلد الخامس اغسطس ١٩٧٥ الصفحات (٥ -٢٦)

٩/ أحمد عثمان ابراهيم : من أشعار الشايقية ط ثانية (الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٩٢).

١٠/ ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون المجلد الأول (دار البيان) ، (بدون تاريخ)
١١/ أحمد أمين : ظهر الإسلام الجزء الثاني الطبعة الرابعة (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦)
١٢/ الصادق المهدي : ويسألونك عن المهدية (بيروت : دار القضايا ١٩٧٥)
١٣/ الصادق المهدي : مستقبل الإسلام في السودان الطبعة الأولي (مؤسسة المدينة للصحافة ١٩٨٣)
١٤/ الصادق المهدي : أيدولوجية المهدية في دراسات في تاريخ المهدية المجلد الأول أعده للنشر د. عمر عبدالرازق النقر مطبوعات قسم التاريخ جامعة الخرطوم أصل هذه البحوث قدمت في المؤتمر العالمي لتاريخ المهدية الخرطوم ٢٩ نوفمبر ١٩٨١م.
١٥/ المهدية : منشورات المهدية تحقيق محمد ابراهيم ابوسليم ١٩٦٩).
١٦/ المهدي ، الأمام : منشورات الجزء الثاني الطبعة الثالثة (الخرطوم : ادارة المحفوظات المركزية – وزارة الداخلية) يوليو ١٩٦٤
١٧/ الطيب محمد الطيب : المسيد المطبعة الأولي الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٩١
١٨/ ابوالحسن علي الحسني الندوي : مذكرات سائح في الشرق العربي ط اولي (مكتبة وهبة ١٩٥٤)
١٩/ الكلاباذي ، أبوبكر محمد : التعرف الي مذهب التصوف حققه عبدالحليم محمود وطه عبدالباقي سرور (القاهرة : البابي الحلبي ١٩٦٠)
٢٠/ بشير محمد سعيد : خبايا واسرار في السياسة السودانية الطبعة الأولي (الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٩٣).
٢١/ بابكر بدري : تاريخ حياتي الجزء الثالث (بدون تاريخ)
٢٢/ ب. م . هولت : دولة المهدية في السودان عهد الخليفة عبدالله ١٨٨٥– ١٨٩٨ ترجمة هنري رياض واخرون (بيروت : دا الجيل ومكتبة خليفة عطية) (بدون تاريخ)
٢٣/ تاج السر حران : فكرة المهدية عند الشيعة الاثنا عشرية في دراسات في تاريخ المهدية

المجلد الأول أعده للنشر د. عمر عبدالرازق النقر مطبوعات قسم التاريخ جامعة الخرطوم العدد (١) أصل هذه البحوث قدمت في المؤتمر العالمي التاريخ المهدية الخرطوم نوفمبر – ديسمبر ١٩٨١م

٢٤/ الصادق ، جعفر بن محمد عثمان : لؤلؤة الحسن الساطعة في بعض مناقب ذي الأسرار اللامعة والفيوضات الوهبية النافعة سيدنا واستاذنا السيد محمد عثمان الميرغني (دار الوثائق المركزية) (متنوعات / ٢٨٣).

٢٥/ الميرغني ، جعفر ابن السيد محمد عثمان : رسالة الختم في بعض المبشرات في الرسائل الميرغنية المشتملة علي اثنتي عشرة رسالة في آداب الطريقة الختمية الطبعة الثانية (مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٧٩).

٢٦/ الصادق ، جعفر محمد عثمان الميرغني : الديوان الكبير رياض المديح وجلاء كل ذي ودصحيح وشفاء كل قلب جريح في مدح النبي المليح (ص) (ملتزم الطبع والنشر مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٣).

٢٧/ جعفر محمد علي بخيت (دكتور) : الإدارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان ١٩١٩-١٩٣٩ ، ترجمة هنري رياض ط اولي (بيروت : دار الثقافة والخرطوم : مكتبة خليفة عطية فبراير ١٩٧٢)

٢٨/ حسن مكي محمد أحمد (دكتور) الثقافة السنارية المغزي والمضمون بمناسبة مرور ٥٠٠ عام هجري علي قيام سلطنة سنار الإسلامية – جامعة إفريقيا العالمية – مركز البحوث والترجمة اصدارة رقم ١٥).

٢٩/ حسن حمد الفاتح قريب الله: التصوف في السودان الي نهاية عصر الفونج ط أولي مطبوعات كلية الدراسات العليا بحث رقم (٢٢) جامعة الخرطوم ١٩٨٧

٣٠/ حسن علي الساعوري (واخرون): عمال السودان والسياسة (القاهرة: الاتحاد الإسلامي الدولي للعمل ١٩٨٦)

٣١/ حسن نجيلة : ملامح من المجتمع السوداني ط ثانية (الخرطوم: دار جامعة الخرطوم ١٩٩١)

٣٢/ خالد حسين الكد : مجلة الدراسات السودانية يصدرها معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية المجلد الثاني عشر العدد الأول ابريل ١٩٩٢ صفحات ٤٤ – ٧٦

٢٣/ زكي بحيري (دكتور) التطور الاقتصادي والإجتماعي في السودان من الأزمة الاقتصادية العالمية حتي الاستقلال ١٩٣٠ – ١٩٥٦ ط أولي (النهضة المصرية ١٩٨٧)

٣٤/ علي زين العابدين : تاج الأولياء والأولياء ط أولي (بيروت : دار ومكتبة الهلال ١٩٨٤)

٢٥/ عبدالقادر محمود (دكتور) الفكر الصوفي في السودان مصادره وتياراته وألوانه ، ط اولي (دار الفكر العربي ١٩٦٨)

٣٦/ علي عبدالرحمن الأمين : الديمقراطية والاشتراكية في السودان (بيروت: منشورات المكتبة العصرية ١٩٧٠)

٣٧/ عبدالرحمن المهدي : جهاد في سبيل الاستقلال أشرف علي أعداده الصادق المهدي (بدون تاريخ) (طبع بمطابع المطبعة الحكومية الخرطوم)

٣٨/ علي صالح كرار (دكتور) : الطريقة الإدريسية في السودان ط أوي (بيروت : دار الجيل ١٩٩١).

٣٩/ عثمان سيد أحمد (دكتور): الختمية والأنصار (الخرطوم : الشركة السودانية للتوزيع المحدودة) (بدون تاريخ)

٤٠/ عثمان دقنة: مذكرات عثمان دقنة تحقيق محمد إبراهيم ابوسليم ، ط اولي (الخرطوم : دار التاليف و الترجمة والنشر جامعة الخرطوم ١٩٧٤)

٤١/ عبدالوهاب أحمد عبدالرحمن (دكتور) : توشكي دراسة تاريخية لحملة عبدالرحمن النجومي علي مصر ط اولي – الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٧٩

٤٢/ عبدالله حسن زروق (دكتور) : قضايا التصوف الإسلامي ط أولي (الخرطوم: دار الفكر ١٩٨٥)

٤٣/ الميرغني محمد عثمان: النور البراق في مدح النبي المصداق (ص) ط ثانية (الخرطوم : المكتبة الإسلامية ١٩٨١)

٤٤/ الميرغني ، محمد عثمان : الأساس والراتب ط اولي (الخرطوم: المكتبة الإسلامية١٩٨٧).

٤٥/ الميرغني محمد عثمان : راتب الميرغني يحتوي عي الاساس الراتب التوسلات، الشكية ، المحامد ، الاستغفار (القاهرة : دار الوطني للنشر والاعلان والتوزيع) (بدون تاريخ)

٤٦/ الميرغني ، محمد عثمان: المسبعة الميرغنية المشتملة علي الصلوات الاسبوعية المسماة فتح الرسول ط ثانية (ملتزم الطبع والنشر مصطفي البابي الحلبي واولاده بمصر ١٩٥٧)

٤٧/ الميرغني ، محمد عثمان : منظومة منجية العبيد في علم التوحيد ط ثانية(المكتبة لإسلامية ١٩٩٠).

٤٨/ الميرغني ، محمد عثمان : مولد النبي المسمي بالاسرار الربانية أولي (الخرطوم : المكتبة الإسلامية ١٩٧٦)

٤٩/ الميرغني ، محمد ثمان : النفحات المكية واللمعات الحقية في شرح أساس الطريقة الميرغنية ضمن مجموعة النفحات الربانية المشتملة علي سبعة رسائل ميرغنية مصطفي الحلبي ١٩٨٠)

٥٠/ الميرغني ، محمد عثمان : الهبات المقتبسة لاظهار المسائل الخمسة والعطايا الدقيقة في اسرار الطريقة ضمن مجموعة الرسائل الميرغنية.

٥١/ الميرغني ، محمد عثمان : الفتح المبروك في كثير من آداب السلوك ضمن مجموعة الرسائل الميرغنية في اداب الطريقة الختمية.

٥٢/ الميرغني، محمد عثمان : الزهور الفائقة في حقوق الطريقة الصادقة ضمن مجموعة الرسائل الميرغنية في اداب الطريقة الختمية

٥٣/ الميرغني ، محمد عثمان : مناقب صاحب الراتب ضمن مجموعة الرسائل الميرغنية في اداب الطريقة الختمية

٥٤/ الميرغني ، محمد عثمان : إجازة ختمية السودان ، دار اوثائق المركزية قطعة رقم ٣١٧/ متنوعات ١/١٩

٥٥/ الميرغني ، محمد عثمان: ترجمة الإمام السيد محمد عثمان الميرغني المحجوب المكي دار الوثائق المركزية قطعة رقم ١١١٩/ متنوعات صندوق رقم ١/٦٣

٥٦/ محمد ابراهيم ابوسليم (أ. د) : الحركة الفكرية في المهدية ط أولي الخرطوم : جامعة الخرطوم قسم التأليف والنشر ١٩٧٠
٥٧/ محمد إبراهيم ابوسليم (أ .د): مكي الطيب شبيكة ١٩٠٥ – ١٩٨٠ لجنة تأبين فقيد العلم والوطن مكي الطيب شبيكة مطبعة جامعة الخرطوم
٥٨/ محمد ابراهيم ابوسليم (أ .د): السيد علي الميرغني وقيادة الختمية في بحوث في تاريخ السودان ط أولي (بيروت : دار الجيل ١٩٩٢).
٥٩/ محمد إبراهيم ابوسليم (أ .د) العلماء في بحوث في تاريخ السودان ط أولي (بيروت : دار الجيل ١٩٩٢)
٦٠/ مكي شبيكة (دكتور) : السودان والثورة المهدية الجزء الأول من موقعة ابا الي حصار الخرطوم ط اولي (الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٧٨)
٦١/ مكي شبيكة (دكتور) : السودان عبر القرون (بيروت : دار الثقافة ١٩٦٧)
٦٢/ محمد عمر بشير (أ . د) : العلاقة العربية الإفريقية دراسة تحليلية جامعة الخرطوم معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية ١٩٨٤م
٦٣/ محمد عمر بشير (أ .د): تاريخ الحركة الوطنية في اسودان ١٩٠٠ – ١٩٦٩(الخرطوم : الدار السودانية للكتب)(بدون تاريخ).
٦٤/ محمود عبدالله برات : تعليم الفتاة في السودان (أهدافه ومناهجه من منظور إسلامي) في الإسلام في السودان اعد المقالات للنشر مدثر عبدالرحيم – الطيب زين العابدين ط أولي (الخرطوم : دار الاصالة ١٩٨٧) بحوث من المؤتمر الأول لجماعة الفكر والثقافة الإسلامية ١٩٨٢
٦٥/ محمد أحمد الحاج (دكتور): المهدية واثرها الديني في السودان في الإسلام في السودان اعد القالات للنشر مدثر عبدالرحيم والطيب زين العابدين ط اولي (الخرطوم : دار الأصالة ١٩٨٧) المؤتمر الأول لجماعة الفكر والثقافة الإسلامية بالخرطوم
٦٦/ محمد فؤاد شكري (دكتور): مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر ١٨٢٠– ١٨٩٩ ط ثانية (دار المعارف بمصر ٩٥٨)

٦٧/ محمد أحمد كرار: الأحزاب السودانية والتجربة الديمقراطية (الخرطوم: دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٨٥).
٦٨/ محمد إبراهيم الطاهر : تاريخ الانتخابات البرلمانية أصدار بنك المعلومات السوداني (بدون تاريخ)
٦٩/ محمد أحمد محجوب : الديمقراطية في الميزان ط ثالثة – الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٨٩)
٧٠/ محمد سيمان صالح ضرار : أمير الشرق ط اولي (الدار السودانية الكتب) طبع بمطابع مدكور (بدون تاريخ)
٧١/ محمد محجوب مالك : المقاومة الداخلية لحركة المهدية ١٨٨١ – ١٨٩٨ ط أولي (بيروت : دار الجيل ١٩٨٧)
٧٢/ مصطفي محمد مسعد : الإسلام والنوبة في العصور الوسطي ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٠).
٧٣/ مدثر علي البوشي : البعث الوطني ورواقد الزحف (الخرطوم دار الفكر الحديث) (بدون تاريخ)
٧٤/ محمد أحمد حامد محمد خير : الختمية العقيدة والتاريخ والمنهج ط ثانية (الخرطوم: دار المأمون ١٩٨٧)
٧٥/ محمد أحمد حامد محمد خير : براءة الشيعة من مفتريات الوهابية (اغفلت تاريخ الطبع واسم الناشر)
٧٦/ محمد الخليفة طه الريفي : السادة المراغنة (الخرطوم : المكتبة الإسلامية ١٩٨٣) اصدار هيئة الختمية للدعوة و الإرشاد الإسلامي طبع بمطبعة التمدن
٧٧/ نعوم شقير : تاريخ السودان الحديث ج الثالث (بدون تاريخ)
٧٨/ نور الدائم ، عبدالمحمود : المناقب الصغري لسيدي الشيخ احمد الطيب بن البشير (بدون تاريخ)

٧٩/ يوسف فضل حسن (بروفسير) : دراسات في تاريخ السودان الجزء الأولي. أولي (الخرطوم : جامعة الخرطوم دار التأليف والنشر ١٩٧٥)
٨٠/ يوسف فضل حسن (بروفيسور) : من معالم تاريخ الإسلام في السودان(الخرطوم: دار الفكر للطباعة والنشر) مؤتمر الإسلام في السودان / جماعة الفكر والثقافة الإسلامية
٧١/ يوسف فضل حسن (بروفيسر): الشلوخ أصلها ووظيفتها في سودان وادي النيل الأوسط ط ثانية (الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٨٩)
٨٢/ النبهاني ، يوسف بن اسماعيل : جواهر البحار في فضائل النبي المختار(صلى الله عليه وسلم) الجزء الثاني (مصطفي البابي الحلبي ١٩٦٠).
٨٣/ النبهاني ، يوسف بن إسماعيل : جامع كرامات الأولياء (بدون تاريخ)

ثانيا الرسائل الجامعية :

١/ الناصر ابوكروق : تاريخ مدينة كسلا ١٨٨٣ – ١٨٩٧م- ماجستير كلية الآداب – جامعة القاهرة ١٩٦٧ – مطبوعة علي الآلة الكاتبة
٢/ أحمد عثمان محمد ابراهيم : الجزيرة خلال المهدية ١٨٨١ – ١٨٩٨م – ماجستير كلية الآداب – جامعة الخرطوم ١٩٧٠ – مطبوعة علي الالة الكاتبة.

ثالثا: المقابلات :

١/ السيد/ أحمد بن محمد عثمان بن أحمد بن محمد عثمان الميرغني :
(مواليد ١٩٥٧) محاضر بكلية الطب جامعة امدرمان الإسلامية – (مقابلة عن العلاقة بين أسرة السيد احمد والسيد علي الميرغني ومواقف اسرة السيد محمد عثمان (شمبات) الدينية والسياسية في الطريقة الختمية) في منزله بشمبات قرب كلية الزراعة جامعة الخرطوم ١٩/١٠/١٩٩٦
٢/ الشيخ حسن بن الشيخ محمد الفاتح قريب الله شيخ السجادة السمانية :(مقابلة عن المهدية وصلتها بالسمانية) بمنزله بودنوباوي بأم درمان ابريل ١٩٩٦
٣/ الخليفة/ محمد نور البدوي حامد علي صالح :
· مواليد ١٩٢٨) – مقابلة عن الكرامة عند الختمية – بمنزله بأمبدة (١٢) بتاريخ ٢٧/١٠/١٩٩٦م

المراجع باللغة الانجليزية :

1/J.S.R. Dunkan : The Sudan,s path to Independence William Black wood and sons Ltd Edunburch , London 1957

2/ J. O. Voll: A history of the Kh atmiyya Tarigah in the Sudan Harvard University 1969

3/ Ali Salih Karrar : Sufi brother hoods in the Sudan , first published London C. Hurst and,Co.(Publishers)

4/ Gabriel Warburg : The Sudan under Wingte , A dministration in the Anglo -Egu[tion , Sudan 1899 - 1916 Frank Cass and Co. Ltd(1971)

ملحق رقم (٩)
مشائخ الطريقة الختمية (١)
السيد محمد عثمان (الختم) (ت ١٨٥٢)

عبدالله المحجوب (الباب) — ابراهيم (توفي بسنكات) — محمد سراختم (ت ١٢٨٠هـ) ١٨٦٣- ١٨٦٤م — هاشم (مادح النبي (ص) — محمد الحسن (كسلا) ت١٨٦٩

عبدالله المحجوب (الباب)
السيد جعفر (٢)
السيد بكري
جعفر

عبدالله المحجوب(ت١٩١٢) — محمد الميرغني٣(١٩٠٣) — عثمان تاج السر (توفي بسواكن) — السيدة مريم الميرغنية (سنكات)

محمد الحسن (كسلا)
محمد عثمان (٤)(دفن بباب الوزير) — سيداحمد (لم يتزوج توفي بالتاكا)

محمد عثمان (٤)
السيد احمد محمد الحسن(كسلا) (ت ١٩٢٨) محمد عثمان شمبات(ت ١٩٦٨) — السيد علي الميرغني (١٩٦٨

حمد عثمان الميرغني المحجوب (دار الوثائق المركزية) قطعة رقم ١١١٩ رقم الصندوق ٦٣ منوعات
حمد حامد محمد خير ، الختمية العقيدة والتاريخ والمنهج ص (٤٣)
ادق وله ديوان شعر في مدح الرسول(ص)
ويقال له محمد الميرغنى تمييزا عن ابيه